روايات عبير الجديدة

روميليا لاند

قوس قزح

www.elromancia.com

مرمورية

قوس قزح

روميليا لان

لاسو، المرفأ الصغير على الساحل البورتغالي يعج بحركة غير مألوفة، قررت شركة نفط عالمية اقامة مصفاة ضخمة فيه.

لكن احد منتجي الخمور في المنطقة يرفض الاستسلام، وأجبر سارا مارتندال على ان تصبح مساعدة لمدير الشركة النفطية كي تتجسس على كل تحركاته وتمنعه من تحقيق هدفه.

ها هي الآن الى جانب هذا المدير الناجح الذي يربكها بنظراته. هل ستتمكن من الكذب امام هذه النظرات؟

www.elbalagh.com

- ١ -

نزلت سارا من الاوتوبيس في وسط المدينة، ودخلت الى شركة غرابلويل وسمال للمحاماة المتخصصة في المسائل البحرية.

وما ان دخلت الى مكتبها حتى اخبرتها السكرتيرة ان المدير يريد رؤيتها. دهشت الفتاة لانه ليس من عادته الوصول الى الشركة بهذا الوقت المبكر. فحملت دفتر ملاحظاتها وقلمها واتجهت نحو غرفة مكتبه.

كان السيد غرابلويل يقف امام مكتبته الزاخرة بالكتب القانونية يدخن غليونه، وهو رجل مسن سمين. حيته سارا بتحية الصباح ووضعت دفترها على طاولة المكتب. فطلب منها الجلوس على المقعد المخصص للزبائن. هذا يعني ان السيد غرابلويل طلبها فقط للثرثرة. فجلست وهي بغاية

الشوق للعودة الى مكتبها لمتابعة اعمالها المكدسة.

اقترب الرجل من مقعده بخطوات عصبية وألقى نظرة على الاوراق المبعثرة على مكتبه وهو ينفث دخان غليونه.

«الطقس حار جداً». قال وهو يجلس على مقعده، ثم تأمل سارا مفكراً ثم سألها بلطف:

«كم مضى على وجودك في هذه الشركة، آنسة مارتندال؟».

«عشرة اعوام تقريباً». اجابته باحترام.

«آه، نعم! لا ازال اذكر تلك الفتاة الخجولة التي كانت في الثامنة عشرة من عمرها وهي تدخل الى مكتبي لأول مرة».

ثم ضحك بصمت كعادته. وكانت سارا معتادة على مزاجيته. واذا سارت الامور سيرها الطبيعي، فهي ستنتهي منه بعد عشرة دقائق.

«كان والدك لا يزال حياً». ذكرها مرة اخرى. «كنت صغيرة جداً عندما توفيت والدتك. انت تعلمين انني ووالدك كنا في الجيش معاً».

«نعم، سيد». اجابته بأدب وتهذيب وانتظرت ان يتابع نفس الحديث كعادته. لكن كان ينظر اليها هذه المرة نظرة غريبة ويبدو فكره مشغولاً. ولم يسألها سؤاله التقليدي اذا كانت مرتاحة في عملها، فتجيبه بأنها سعيدة جداً. فيتبادلان التحية وتعود اخيراً الى مكتبها.

«هل سبق لك ان سافرت، آنسة مارتندال؟».

سيطرت الفتاة على اضطرابها امام هذا التغيير الغير

متوقع في سير الحديث.

«سافرت مرة مع والدي الى ايطاليا. ومرة ارسلتني الشركة الى باريس».

«آه، نعم. يبدو ان ذاكرتي اصبحت ضعيفة».

لاحظت سارا توتراً في حركات يديه وهو يقلب صفحات احد الملفات بدون حاجة ظاهرة.

«اتمنى ان اعهد اليك بعمل صغير، آنسة مارتندال».

يا الهي، ماذا سيطلب منها، الآن؟ بدون شك سيكلفها بمهام مزعجة تتطلب منها البقاء بعد دوام العمل الرسمي. لكنه تابع:

«ستصلنا وثائق هامة هذا الصباح. وهم يطلبونها بشكل مستعجل لشركة برتغالية. انهم زبائننا، ينتجون ويصدرون البورتو. اريدك ان تستقلي الطائرة بعد ظهر اليوم وتسلمي الاوراق للسيد كارفالو في منزله في وادي اموريدا».

الطائرة بعد ظهر هذا اليوم! تساءلت سارا اذا كانت تحلم.

«اعذرني، سيد، ولكني اعتقد انك تأمرني بالسفر الى البورتغال».

«نعم، آنسة مارتندال». اجابها مبتسماً، ثم نهض.

«انا؟ الى البورتغال؟ انا آسفة، لا استطيع، اذا كان هذا لا يزعجك».

تخلى الرجل عن ابتسامته فجأة، وتحول الى مدير متسلط:

«هيا، آنسة مارتندال. انا اصبحت مسناً لا اتحمل

السفر، وحالياً لا يوجد هنا من يمكنني الاعتماد عليه غيرك».

يبدو انه اتخذ كل الاجراءات من اجل سفرها.

«سيوصلك سائقي الى المطار، واولاً سيوصلك الى منزلك لاحضار حقيبتك، انصحك بأن تكون كبيرة، فمنزل السيد كارفالو بعيد عن المدينة».

غادرت سارا مكتبه وهي تتساءل، ألا يعلم ان هذا السفر يؤخر عملها كثيراً؟.

بعد اقلاع الطائرة بدقائق قليلة، فتحت سارا المغلف وبدأت تتفحص محتوياته. وجدت عليه تعليمات دقيقة عن كيفية الوصول الى منزل هذا الرجل. وكانت تعلم انها لن تجد صعوبة بالنسبة للغة، لان الانكليزية منتشرة ايضاً في البورتغال.

وصلت سارا الى مدينة لاسو مع مغيب الشمس، فقررت ان تبيت ليلتها فيها كي لا تضطر الى متابعة رحلتها في الليل. ودلها السائق على الفندق الوحيد.

كان يبدو ان هناك حركة وضجيج داخل الفندق، ولاحظت فور دخولها عدداً كبيراً من الحقائب والصناديق والعلب المكدسة في بهو الفندق. وحول البار كان يقف مجموعة من الرجال يتكلمون اللغة الانكليزية. فاتجهت نحو عامل الاستقبال.

«اريد غرفة لليلة واحدة».

تمتم الرجل ببضعة كلمات من لغته ثم ابتسم لها آسفاً.

«اريد غرفة بسرير واحد وحمام، اذا امكن».

تدخل رجل متوسط السن وقال بانكليزية صحيحة.

«انا آسف، آنسة، لكن الفندق ممتلىء».

«ولكن، بالتأكيد لديكم شيء!». قالت متوسلة.

«هؤلاء الرجال حجزوا كل غرفنا. لم يسبق لنا ان استقبلنا كل هذا العدد من الزبائن دفعة واحدة. اعتقد انهم يعملون على مشاريع في هذه المنطقة».

«ألا يوجد فندق آخر قريب من هنا؟».

«انه الفندق الوحيد، يا آنسة». اجابها مبتسماً. «لاسو تجذب القليل من السياح، ومن النادر ان تكون كل الغرف مشغولة عندنا».

«يا الهي! ألا يوجد مكان ابيت فيه ليلتي هذه؟».

«هناك نزل صغير على طريق أغنيز».

نزلٌ! وخارج البلدة! مستحيل.

«انا آتية من بورتو ولا يمكنني القيام بخطوة واحدة بعد».

تأملها المدير مفكراً ثم التفت نحو الموظف وكلمه بلغتهما ثم ابتسم لسارا من جديد.

«لدينا غرفة لكنها ليست للزبائن، ولكن لليلة واحدة اعتقد انه يمكننا ان نتدبر الامر. انتظري قليلاً لو سمحت».

نظرت سارا الى الرجال الذين يجلسون بشكل دائري حول رجل نزل لتوه من سيارة فخمة، ولفت انتباه الجميع على الفور.

فتأملته سارا قليلاً وهي تقف خلف مكتب الاستقبال.

يبدو هذا الرجل حاد الطباع كبقية افراد فريقه. لكنه كان انيقاً جداً ومتعالياً بنفس الوقت. كما وانه اختار هذا المساء بالذات ليقتحم الفندق مع رجاله.

عاد الموظف وطلب منها المدير ان تتبعه. وكانت الغرفة التي تكلم عنها عبارة عن مكتب اصبح شبه مستودع، وفيه سرير صغير ولكنه بدون حمام.

لم يكن امام سارا خيار آخر. وفهمت من الموظف ان الحمام في آخر الممر. وبعد ان خرج، فتحت حقيبتها وارتدت روب الحمام وحملت صابونة كان قد احضرها الموظف ودخلت الى الحمام الذي كان مخصصاً لعمال المطبخ ولا يوجد فيه ماء ساخن.

وبعد حمام سريع تفحصت الممر جيداً واسرعت الى غرفتها، فوجدت صينية العشاء. فتناولت طعامها، ونامت دون ان تجرؤ على دخول الحمام مرة ثانية لتفرشي اسنانها. لكنها طوال الليل كانت تنتفض مذعورة على اصوات الابواب وضحكات صادرة من ناحية البهو. فتمنت ان يتدخل رئيس هؤلاء الرجال ويأمرهم بالنوم. عندما فكرت بهذا الرجل الذي كان يتوسطهم، ضربت الوسادة بيدها غاضبة. لولاه لكانت تنام الآن في غرفة مريحة وليس في هذا المستودع اللعين.

تناولت سارا الفطور في غرفتها في اليوم التالي وهي لا تأمل سوى بالعودة الى منزلها في اقرب وقت ممكن. ارتدت ملابسها واعتمرت قبعتها بسرعة. بسبب ضجيج هؤلاء الرجال، لم تتمكن من الاستيقاظ باكراً. جمعت

اغراضها ودفعت الحساب، ولم تجد اي اثر لاولئك الرجال وسياراتهم. فانتظرت سيارة تاكسي وذكرها هذا الصباح بالعمل المكدس على مكتبها في الشركة، وتمنت ان لا تضطر للتغيب اكثر من يوم واحد.

كان السائق يعرف طريق الكروم جيداً. وبعد عدة كيلومترات بين الدوالي والتلال ظهر اخيراً منزل كبير واسع سقفه احمر يختبىء بين اشجار السرو العالية. تنهدت الفتاة وشعرت بالراحة، واخيراً ستنتهي مهمتها هذه. عندما وصلوا الى مدخل المنزل، كان يجب عليهم اختراق باب حديدي كبير. فنزل السائق وضغط على زر ففتح الباب وكأن يداً سحرية فتحته. فدخل السائق وتوقف امام شرفة المدخل. فطلبت منه سارا ان ينتظرها.

وما ان صعدت اول درجة حتى نزل رجل في الخمسين من عمره تقريباً لاستقبالها، وكلمها بلغة انكليزية جيدة.

«آه، آنسة مارتندال! ها انت اخيراً!». ومد يده نحوها وسألها وهو ينظر الى التاكسي. «لديك حقائب، اليس كذلك؟».

ثم ادخل حقيبتها الى المنزل ودفع حساب التاكسي وصرف السائق. ودعاها بكل لطف ومودة الى صالون واسع مفروش بذوق رفيع، ونظر باهتمام الى الحقيبة الصغيرة الجلدية التي في يدها.

«احضرت الوثائق المطلوبة، عظيم». ثم ابتسم بمحبة واضاف:

«تريدين شراباً منعشاً، اليس كذلك؟».

وافقت سارا، على كل حال هي تستحق بعض الراحة. كما وان مهمتها تقريباً انتهت. اعطى مضيفها اوامره لاحد الخدم ثم وكأنه ينتظر شيئاً، ظل صامتاً ينظر الى الحقيبة الصغيرة التي لا تزال في يد الفتاة.

«ايمكنك ان تثبت لي هويتك؟». سألته الفتاة بحذر.

ابتسم الرجل بمرح.

«اعتقد ان اسلافي خير شهادة لي، انظري!». واشار الى صور معلقة على احد الجدران. ثم اخرج من جيبه ساعة ذهبية معلقة بسلسلة طويلة، ففتحها وقال:

«كانت هذه آخر هدية عيد ميلاد حصلت عليها».

تأملت سارا بانتباه شديد الكلمات المحفورة بداخلها.

ومع انها باللغة البورتغالية، إلا ان سارا تمكنت من تميز اسم البرتو غنزاليز دي كارفالو. هذا دليل كاف، ومع ذلك ترددت قليلاً قبل ان تسلمه الحقيبة.

«شكراً لك». قال وهو يتناول الحقيبة. «تفضلي شرابك، آنسة مارتندال».

شربت سارا كوب العصير البارد وهي تنظر الى مضيفها الذي جلس على مقعده يتفحص الاوراق التي استلمها منها بانتباه كبير. وعندما انتهى منها اعادها الى الحقيبة وعادت اليه ابتسامته.

«اتشعرين بتحسن الآن؟ حسناً! سأزورك اقبية الخمور».

يا الهي، الوقت يمر، ويجب ان تعود الى سوثمبتون. لكن السيد كارفالو يعتقد ان من واجبه ان يزورها ممتلكاته.

وليس من اللطف ان ترفض. فنهضت وتبعته الى الخارج وبعد ان اجتازا البستان القريب وصلا الى مصنع الخمور. وكان مضيفها يشرح لها باستفاضة كل ما يتعلق بهذه الصناعة. لكنها كانت تستمع اليه بشرود وتنظر كل لحظة الى ساعة يدها.

وفي طريق العودة الى المنزل، قال لها السيد كارفالو:

«بعد ان يختمر، يتم نقل البورتو عبر مرفأ لاسو».

دون ان تفهم لماذا، احست سارا بأن هذه الملاحظة تهدف لشيء ما تجهله.

وعند المدخل، توقفت وشكرت مضيفها لانه منحها بعضاً من وقته الثمين. وكانت دهشتها كبيرة عندما امسك يدها وقال مبتسماً:

«والآن، اريد ان اقدمك لعائلتي».

اوه، لا!... ولكن اخيراً، لن يستغرق ذلك سوى بضعة دقائق فقط. فتبعته الى غرفة كبيرة مطلة على الحديقة الخلفية حيث كانت تعلو ضحكات واصوات. يبدو ان لهذا البورتغالي اكثر من ثمانية اولاد، واكثرهم متزوجون واطفالهم يلعبون حولهم. اقتربت زوجته على الفور وهي تحمل احد احفادها ورحبت بالفتاة وقدمت لها جميع افراد العائلة. كانت سارا تنتظر من مضيفها ان يأمر احداً باصطحابها الى لاسو، لكنه ابتعد ووقف امام الباب وقال بكل لطف ومحبة:

«لقد سررنا جميعاً بالتعرف عليك، آنسة مارتندال. ستتناولين الغداء معنا، طبعاً».

المطار قبل موعد اقلاع الطائرة في الساعة الخامسة بعد الظهر.

«من حسن حظنا». اضاف كارفالو. «توجد هذه الصناعة القديمة. فشركاؤنا الانكليز متمسكون بها. وانت حملت لنا موافقتهم وتشجيعهم، وهم يضمنون لعائلتنا حقوقاً كاملة على المرفأ. ويؤكدون بانهم اذا اضطروا لسبب ما الى الخضوع، فسيأمنون لنا مرفأ آخراً».

«لكن الجميع يعلمون ان ساحلنا لا يسمح بذلك». قال ابن كارفالو الكبير.

«نعم، يا عزيزي ادريانو». قال والده.

«اذاً، لا يبقى امامكم سوى ان تطلبوا من هذه الشركة ان تقيم مصفاتها في مكان آخر».

«انت تعرفين، آنسة مارتندال، بالنسبة للاعمال، لا تكون الامور بالسهولة التي تبدو عليها. صحيح انه لا يستطيع احد ان يحرمنا من حقنا في المرفأ الذي نملك امتيازه منذ عدة قرون. ولكن شركة البيراميدون شركة قوية وقادرة على كل شيء في سبيل اهدافها. ولن تتردد في فعل اي شيء يدعم موقفها قضائياً. هذا يستغرق بعض الوقت، وتجارتنا ستعاني كثيراً».

«وكثيرون يهمهم تدميرنا». قال ابنه ادريانو.

«حسب القانون». اضاف الوالد. «فقط عنب وادي دورو يستعمل في صناعة البورتو. وعائلة كارفالو تشذ على هذه القاعدة. لان نوعية خمورنا تتفوق على كل النوعيات الاخرى. وبالنتيجة، لدينا اعداء كثيرون».

اخفت سارا انزعاجها لانها لم تشأ ان تقابل حسن ضيافته بالرفض. وعندما حان موعد الغداء، انتقل الجميع الى غرفة الطعام الواسعة. واحست سارا ان الجميع ينظرون اليها باهتمام مميز، لدرجة انه شعرت بأن الجميع مجتمعون من اجلها.

وعندما احضر الخادم الحلوى، نظر السيد كارفالو الى عائلته ثم بدأ بالكلام وهو يبتسم لسارا:

«يجب ان نخبر الآنسة مارتندال، انه بدونها، سيكون مستقبلنا مهدداً».

رفعت سارا نظرها نحوه بدهشة.

«لاول مرة في حياتنا، آنسة مارتندال، يجب علينا المقاومة كي نستمر. الامر لا يتعلق بكرومنا، ولكن بالساحل الذي ينقل منه خمرنا الى الخارج... يقال بأن مصفاة للبترول ستنشأ في المنطقة بعد تأهيل مرفأ لاسو. واحد مواطنيك هو ممثل الشركة النفطية بيراميدون على وشك البدء باعماله كي يحرمنا من قاعدة تصديرنا، وبالتالي من عملنا».

«انت تتكلم عن رئيس المهندسين الذي في البلدة؟». سألته سارا.

«هل رأيته؟». سألها كارفالو بقلق.

«كان ينزل في نفس الفندق ليلة امس. ولكن، لحسن الحظ لم يرني».

لاحظت الفتاة بعض الراحة على ملامح وجه البورتغالي. وتساءلت اذا كانت ستتمكن من الوصول الى

«بامكانهم ان يستغلوا الفرصة ويمارسوا ضغوطاً علينا، فنضطر لنقل انتاجنا حتى مرفأ موليرا في الشمال، وهذا مستحيل». قال ادريانو.

«انت تفهمين اذاً، آنسة مارتندال». قال السيد كارفالو.

«باننا لسنا على عجلة من امرنا... لكشف خطتنا».

نظرت سارا الى ساعتها وسألته:

«وكيف تعتقد انه سيمكنك التخلص من كل هذا؟».

«حالياً لسنا بحاجة للتصرف، برايس تايلور لي يتمكن من البدء على الفور بانشاء ورشة العمل التي تطلبها منه شركة البيراميدون. يجب عليه اولاً اقناع الشعب المحلي بضرورة المصفاة. يجب ايضاً ان يؤمنوا يداً عاملة. وسيضطرون لشراء الاراضي. وللمفاوضة على امتلاك الحق على الطرقات.

- ٢ -

وسيدركون بسرعة ان الملاك البورتغالي ليس سهلاً. وانه من المستحيل ان نساعدهم».

ودار الحديث حول مواضيع اخرى، ثم نهض الجميع، وغادروا غرفة الطعام بينما طلب السيد كارفالو من سارا ان تتبعه الى غرفة المكتب.

«سيد كارفالو، لقد تأثرت كثيراً بحسن ضيافتك، ولكن يجب ان اذهب، وبما انك صرفت سيارة التاكسي التي كانت تنتظرني، فأرجو ان تؤمن لي سيارة تقلني الى مطار بورتو، وإلا ستفوتني الطائرة».

«آه. نعم، الطائرة...». ونظر اليها بعيونه السوداء وابتسم.

انتظرت سارا ان يرفع سماعة الهاتف او ان يضغط على زر لاحد الخدم، لكنه وبكل هدوء، تناول علبة السجائر وسألها مبتسماً:

«أتدخين؟».

شعرت سارا بالسخافة، واجابته بجفاف:

«لا».

اشعل الرجل سيجارة ونفث دخانها، وسارا تنتظر بفارغ الصبر ان يقرر طلب سيارة لها. لكنه سألها بكل هدوء:

«ما رأيك بالبورتغال؟».

«رائع!». كانت تكذب، لانها منذ وصولها لم تعر اي انتباه للمناظر الطبيعية.

«اتمنى ان لا يكون حديثنا اثناء الغداء جعلك تشعرين بالملل».

«لا، ابداً». اجابته بكذبة اخرى. ولم تكن تحب تبادل المجاملات، لكنها كانت مقتنعة ان مضيفها يحاول تأخيرها قدر الامكان من باب الكرم والترحيب.

«اتمنى ان تحل كل مشاكلك لمصلحتك. انا متأكدة انك ستتغلب على تلك الشركة».

«شكراً لك».

لاحظت سارا لاول مرة انقباض ملامح الرجل الذي اضاف بابتسامة مترددة.

«سمعت ان برايس تايلور رجل ناجح ولامع في الاعمال. نحن لسنا سوى مزارعين. اتساءل اذا كنا سنتمكن من الوقوف بوجه مواهب رجل الاعمال هذا».

امام صمتها اضاف ممازحاً:

«ايزعجك ان اتكلم هكذا عن احد مواطنيك؟».

«لا، ابداً». اكدت له بجفاف. «انه غريب عني. بسببه وبسبب مهندسيه، اضطررت للنوم في غرفة حقيرة قرب المطابخ في الفندق ليلة امس».

«اذاً، المهندسون وصلوا». قال مفكراً. «البيراميدون لا يضيعون وقتهم».

لكنني انا اضيع وقتي. قالت سارا لنفسها. هل نسي نها تنتظر سيارة؟.

«على كل حال، لا ضرورة للقلق، طالما انك تملك نقاً».

بدت الحيرة على وجه الرجل.

«هذا صحيح، لكن من يعلم ماذا يمكن لبرايس تايلور ان يفعل من اجل الوصول لاهدافه؟ كم من الوقت سيحتاج لاقناع الاخرين؟».

حاولت سارا ان تبدو متفهمة، والقت نظرة الى ساعة يدها. وكانت تعرف ان السيد كارفالو لاحظ حركتها، ومع ذلك، تابع كلامه بهدوء.

«للحقيقة، نحن بحاجة لشخص من داخل البيراميدون ينقل الينا المعلومات». ثم رفع نظره نحوها، واضاف: «شخص مثلك انت، آنسة مارتندال».

«انا؟».

وشعرت الفتاة بالخوف، وقررت ان تنهي هذا الحديث:

«لدي اعمال كثيرة تنتظرني في مكتب رئيسي، كما وانه

سيقلق كثيراً اذا تأخرت على طائرتي».

لم يبدو على السيد كارفالو انه سيستجيب اخيراً لرغبتها. فقال مبتسماً:

«اعتقد ان السيد غرابلويل لن ينتظرك قبل مدة طويلة».

«ماذا؟ انا لا اخذ اجازتي عادة إلا في نهاية العام».

«انت لم تفهميني جيداً، آنسة مارتندال. انا لا اتكلم عن اجازة، بل عن عمل.

عما يتكلم اذاً؟ بينما حاولت جاهدة ان تتبين معنى كلامه، اضاف:

«قد تكوني تجهلين، ولكن السيد غرابلويل وانا ناقشنا كثيراً المشكلة التي تفرضها علينا. وادرك انه من الضروري ان يكون لدينا مصدر للمعلومات من داخل الشركة. فاتفقت معه عندما اكد لي انك مؤهلة لهذا الدور».

«هذا طيش!». اجابت بسخرية. وابتسمت كي توضح له رفضها لهذه اللعبة، ثم قالت له بتحد:

«انا اعمل عند السيد غرابلويل منذ عشرة اعوام. ويصعب عليه التخلي عن خدماتي، ولن اقبل ابداً بهذا العرض».

كان السيد كارفالو يبدو واثقاً من نفسه، ودون ان يبعد نظره عنها، رفع سماعة الهاتف.

«اترغبين بالكلام معه! يكفي ان اطلبه».

«بالتأكيد». اجابته بجفاف، وكانت متأكدة انه يكذب. كي يتخطى صعوباته، يتعلق باقل فرصة تظهر امامه. ولكنه سيفهم بسرعة انه لا يمكنهم التخلي عنها في المكتب.

بعد ان سلم الورتغالي على صديقه غرابلويل، ناولها السماعة. فأمسكتها وهي تنهض.

«آلو، سيد غرابلويل؟ انا عند السيد كارفالو. للاسف، هو معتقد انني جئت لمساعدته في حل مشاكله مع شركة بترولية...».

«انها الحقيقة، آنسة مارتندال... اتمنى ان تكوني حملت معك ما يكفي من الملابس. لقد سبق ونصحتك، تذكري!».

«انت تمزح، طبعاً!». واحست بصوتها يضعف ودمها يتجمد.

«ابداً». اجابها مديرها بحزم وجدية. «انا لم اكن اكثر جدية. ابتداءً من اليوم انت مرتبطة بالعمل مع عائلة كارفالو...».

«ولكن وعملي...؟ مكتبي...». اعترضت بخوف واضطراب.

«لقد وظفت فتاة كفوءة...». ثم اضاف بصوت هادىء. «اعتقد انها ستعرف جيداً كيف تنوب عنك اثناء اسابيع غيابك القليلة».

وبدا وكأنه لاحظ دهشتها المخنوقة، فاصبحت كلماته اكثر جفافاً، وكأنه مستعجل على انهاء هذا الحديث.

«هيا، آنسة مارتندال. لا تخلقي مشاكل. تغيير الهواء سيفيدك. لديك مهمة، وآمل ان تبذلي كل ما بوسعك لانجاحها... الى اللقاء، ولا تنسي ان واجبنا الاول هو ارضاء زبائننا».

«ولكن، سيد غرابلويل...». قالت متلعثمة محاولة بيأس ان تمنعه من قطع الاتصال. «كيف سأ... انتظر! سيد...» وانقطع الخط... فتأملت سارا الهاتف بذهول، واخيراً اعادت السماعة الى مكانها. ولحسن الحظ، جنبها السيد كارفالو ونظرته الساخرة. فتجاهلته ورمت نفسها على الكرسي تتجاذبها مشاعر عديدة ابتداءً من المفاجئة وصولاً الى الغضب البارد. اذاً، كانا يعلمان منذ البداية، السيد غرابلويل والسيد كارفالو. دبرا كل شيء معاً. تسارعت انفاسها وكانت منذ اللحظة الاولى تشعر بانهم يخفون عنها شيئاً ما. واحست بانها تلقت ضربة في كرامتها. فمديرها يعتقد انه بامكانه ان يستغني عنها. حتى وانه لمح بانها اذا رفضت الرضوخ، فهو لن يتردد بطردها.

الن تر بعد اليوم مكتبها في شركة غرابلويل وسمال؟ هذه فكرة لا يمكنها تحملها. فهي لا تعرف عملاً آخراً....

«اقتنعت الآن بانك ستقومين بهذه المهمة؟». سألها السيد كارفالو وعيونه تلمع بالمكر.

«انت تقصد ان اقوم بالتجسس على برايس تايلور ونشاطات البيراميدون؟». اجابته بحدة.

«اوه، هيا! التجسس كلمة غير مناسبة، اليوم سنستعمل كلمة الاستعلام».

«الكلمة ليست مهمة، العمل هو نفسه!». ثم اضافت بجفاف:

«ماذا يجب ان افعل كي احصل على المعلومات التي

تحتاجها؟».

«لدينا خطة، طبعاً». اجابها وقد تبدلت لهجته.

خلف مظهره الهادىء، يخفي هذا الرجل ارادة فولاذيه. وقدم لسارا موجزاً عن خطته:

«الكل يعلم ان برايس تايلور يبحث حالياً عن مساعدة له. سيكون دورها متعلقاً بالناحية الاجتماعية من عمله. ستنتقلين هذا المساء الى متجر لبيع المطرزات الذي نملكه في المدينة، وسندعي انك انت صاحبته. غداً، ستتقدمين لهذا المنصب بحجة انك مللت عملك الحالي، لان تجارتك لا تجذب عدداً جيداً من الزبائن».

«وكيف سأحصل على هذه الوظيفة؟ فانا لا اعرف اية كلمة من اللغة البورتغالية».

«لمواطنينا، ياآنسة، علاقات متينة مع انكلترا. فنحن تقريباً نتكلم لغتكم مثلكم. وهذا ما لا يجهله السيد تايلور. وانا متأكد انه على كل حال سيفضل مساعدة انكليزية... وعندما ستستقرين في لاسو، لا تحاولي الاتصال بنا، سنتصل بك نحن. مهمتك تنحصر في اعلامنا عن تطور نشاطات البيراميدون».

ثم ابتسم لها مشجعاً واضاف:

«السيد تايلور سيهتم اولاً بالمخازن والمكاتب وباعمال توسيع المرفأ. طبعاً نحن سنقاوم كل جهوده، ولكنه لن يستسلم بسهولة. كل مواجهة ستدفعه للامام اكثر. ثم فيما بعد، سيحتاج للاراضي، وبدون شك لحق المرور... من المحتمل ان يستسلم هذا الرجل بوقت اقل مما نتوقع،

وهكذا لن يكون هناك اية مشاكل».

«واذا نجح رغم كل شيء؟ اذا حصل على ما يحتاج اليه لانشاء مصفاته؟».

«اذاً سنكون مضطرين للتدخل». اجابها وهو يهز كتفيه.

تأملته الفتاة قليلاً. لماذا ترفض؟ انها لم تستلطف برايس تايلور الذي اقتحم الفندق مع رجاله واجبرها على النوم في غرفة بائسة. كما وانها تشعر بأن السيد غرابلويل جرح كرامتها بالتخلي عن خدماتها. انها تحترق من الرغبة في ان تثبت له انها هي ايضاً قادرة على التخلي عنه وعن مكتبه، قد يندم قريباً لانه تخلى عنها، عندئذ سيكون هذا درساً له. امام هذه الفكرة شعرت برضى وابتسمت بمكر.

«اذاً، آنسة مارتندال، اتقبلين هذه المهمة؟».

اعادها هذا السؤال الى الواقع. بدون شك هي تريد الثأر من السيد غرابلويل. ولكن كيف ستواجه موقفاً مليئاً بالخداع؟.

فأجابت بصوت ضعيف:

«يبدو انني لا املك الخيار».

تجاهل الرجل برودة موقفها ونهض.

«انا سعيد لتعاونك معنا». ثم رن لاحد الخدم.

فحضرت خادمة متوسطة السن.

«اتفضلين ان ترتاحي قليلاً قبل المساء؟.

بامكانك ان تستريحي في غرفة الضيوف. واذا احتجت لشيء، لا تترددي في طلبه».

تبعت سارا الخادمة الى الطابق العلوي، ولم تعر اي

اهتمام لديكور الغرفة، وظلت واقفة بعد ذهاب الخادمة، غير قادرة على تصديق ما يحل لها.

هي، السكرتيرة البسيطة مجبرة على العمل عند السيد كارفالو بوجه شركة نفطية عالمية. عضت اصابع يدها، ولامت نفسها لانها كانت غبية ولم تدرك منذ البداية ان الامور ستصبح معقدة بهذا الشكل. الآن، هي سجينة... لا. هذا سخيف. فلا شيء يمنعها من مغادرة هذا المنزل. ولكن فيما بعد؟ ابتسمت بمرارة، فعلى مساحة كيلومتر دائري، لا يوجد سوى كروم آل كارفالو.

واخيراً جلست، عرض السيد كارفالو ادهشها، لكنها لا تلومه. فهو لا يفعل سوى الدفاع عن مصالح عائلية. كما وانها لن تستطع ان تلقن مديرها السابق درساً سوى ببقائها في البورتغال. مهما كان الامر، وامام التحدي الذي يواجهه السيد برايس تايلور، فانه سيستسلم بسرعة ويتخلى عن فكرة المصفاة. هذه ليست سوى مسألة اسابيع، اذاً لماذا كل هذا القلق؟.

في المساء، تناولت سارا العشاء في غرفتها، وتمددت قليلاً على السرير، ونامت في ملابسها دون ان تشعر. وفجأة، استيقظت على طرقات على بابها. فنهضت بثاقل وفتحت الباب فوجدت الخادمة التي احضرت لها العشاء منذ قليل، وكانت تضع على كتفيها شالاً اسوداً، واشارت لها ان تتبعها. فحملت سارا حقيبتها ونزلت. في الخارج كان السائق ينتظرها امام السيارة الفخمة وحمل حقيبتها وفتح لها الباب. فابتسمت الفتاة بمرارة وجلست بجانب

الخادمة. وانطلقت السيارة في الظلام وسط صفوف الدوالي واحست الفتاة من جديد انها سجينة في قصة عن التجسس. وصلوا اخيراً الى لاسو، وتجنب السائق وسط المدينة، وتوقف في شارع فرعي.

فتحت الخادمة باب المتجر ودخلت قبل سارا بينما حمل السائق حقيبتها. تبعتهما سارا وتسلقت سلماً داخلياً يؤدي الى شقة صغيرة. وعندما همت الخادمة بالذهاب، احست سارا بالقلق وحاولت ان تطرح عليها بعض الاسئلة مع انها متأكدة انها لن تفهم منها شيئاً. وبدا على الخادمة انها تلقت اوامر صارمة، فابتسمت لها بلطف، واشارت لها ان تقفل الباب وراءها. فنزلتا معاً، وكانت السيارة قد اختفت، يبدو ان السائق والخادمة اتفقا على مكان آخر يلتقيان فيه. فخرجت الخادمة بسرعة، واحست سارا فجأة بالحقيقة الواقعة: انها وحدها.

اقفلت الباب بيد مرتجفة. لا، ابداً لن تنجح. هي لم تخلق لاعمال التجسس الصناعي. وبدأت تأسف على وظيفتها في مكتبهاوعلى عملها الروتيني. حاولت السيطرة على توترها كي تتصور الوضع بهدوء. وبدأت بجولة في الشقة الصغيرة كي تتأقلم مع المكان.

كانت رفوف المطبخ مليئة بكل انواع التموين. وفي الحمام مناشف نظيفة وفي الصالون كتب عن فن التطريز والطهي. فشعرت فجأة بانقباض في قلبها. يبدو ان السيد كارفالو قد فكر في كل شيء: فعلى طاولة المطبخ وجدت صحيفة مفتوحة وقد اشير الى اعلان من قبل شركة

بيراميدون باللغة الانكليزية والبورتغالية. وهو يطلب موظفين لعدة مجالات ومن بينها طلب لمساعدة ادارية مع عنوان تقديم الطلبات. يجب ان تنام جيداً كي تواجه نهار الغد الذي لن يكون سهلاً.

استيقظت في اليوم التالي على ضجيج الشارع. للوهلة الاولى، لم تتعرف على المكان، لكن ذكريات الامس عادت بسرعة الى ذهنها. فدق قلبها بسرعة ونهضت. وبعد حمام سريع، تناولت فطورها مع انها لم تكن جائعة. ونزلت لتزور المتجر وتتفحص البضاعة.

كانت واجهتان زجاجيتان تحيطان بباب الدخول، واعجبت سارا كثيراً بدقة الصناعة اليدوية. الشراشف «الماديرا» والسجادات المستديرة «الأسور» والمحارم الاورغندية. وكان هناك ايضاً الملابس النسائية من قمصان وفساتين مطرزة باجمل الرسومات.

ثم وقفت قليلاً امام الواجهة تتأمل حركة الشارع الصباحية.

وتظاهرت بانها ترفع الغبار عن الرفوف وهي تتفحص الجوار. كان في الجهة الاخرى من الشارع، متجر للسجاد وآخر للوحات. على كل حال، لم يبدو على احد من الجيران الدهشة عندما رأوها تتصرف كمالكة للمتجر، وظهورها المفاجيء لم يسبب اي انفعال غريب. وقرأت على الجدار المواجه لوحة مكتوب عليها اسم الشارع. «شارع ترينيداد».

وبعد قليل خرجت واقفلت الباب بيد مرتجفة. وحاولت

جهدها ان تحتفظ بهدوئها وهي تسير في الشارع بخطوات سريعة. وكانت قد ارتدت تيارها الازرق ووضعت قبعتها الزرقاء.

وكان يجب عليها ان تتجه الى المكتب المذكور في الاعلان على الرصيف الثالث في المرفأ. فسارت بهذا الاتجاه وشعرت بخيبة كبيرة عندما رأت بعد دقائق قليلة مياه البحر الزرقاء.

- ٣ -

عندما وصلت الى المرفأ، اول فكرة خطرت ببالها ان تهرب قبل ان يفوت الاوان. لكنها تمكنت من تمالك نفسها وبدأت تبحث عن الرصيف رقم ثلاثة.

وعندما وصلت اليه، خطرت ببالها فكرة مفاجئة: بالتأكيد، لن تكون هي المرشحة الوحيدة لمنصب مساعدة المدير. واذا كان الاعلان نشر منذ بضعة ايام؟ قد يكون هذا المنصب قد شغل الان. . . .

احست بالقوة امام هذا الامل، واتجهت نحو البناء الذي انشأته البيراميدون مؤقتاً لتنظيم عملية ادارة المشروع.

في مكتب الاستعلامات سألوها اي منصب تريد ان تتقدم له، ثم طلبوا منها الانتظار في غرفة بجانب غرفة المدير. احست الفتاة بالاضطراب وهي تشعر بنفس النفور

www.elromancia.com

من المدير الذي احست به في الفندق مساء وصولها.

فجأة، فتح الباب، فانتفضت مذعورة. ورأت فتاة سمراء تخرج مبتسمة من غرفة المدير. فشعرت بالاطمئنان، يبدو ان المنصب شغل. وانتظرت ان يعلنوا لها انه لم يعد هناك ضرورة لبقائها.

اصبح المكتب هادئاً. وبعد لحظات، اجتاحها القلق من جديد عندما دخل رجل الى الغرفة وأحنى رأسه امامها بلطف وتابع سيره حتى وصل الى غرفة المدير.

وفجأة، ظهر من جديد وقال لها بلطف:

«المدير سيستقبلك على الفور آنسة».

فنهضت وقلبها يدق بسرعة. لم يعد بامكانها التراجع، فالباب مفتوح واستطاعت ان تر الرجل الطويل العريض الكتفين الذي يقف خلف مكتبه. ولا حظت على الفور نظراته الخارقة التي يرميها بها. عندئذ انتبهت ان عيونه خضراء.

«صباح الخير، آنسة...».

«آنسة مارتندال». قالت بارتباك.

«تفضلي بالجلوس، ارجوك».

جلست سارا وقلبها يدق بشكل غريب امام نظراته. يبدو ان ملابسها تدل على اصلها، لانه سألها وهو يحدق بها:

«انت انكليزية، اليس كذلك؟».

«نعم».

«وانت تتقدمين للعمل في منصب مساعدة المدير؟».

«نعم». اجابته بتهذيب تام مع انها لم تستطع ان تنس

ان هذا الرجل حرمها من غرفة مناسبة في الفندق ليلة وصولها.

«ايمكنني معرفة ماذا تفعلين في هذه البلاد؟».

«حسناً...». وحاولت الفتاة ان تبدو طبيعية، لكنها لم تنجح في اخفاء اضطرابها. وروت له قصتها المزعومة دون ان تجرؤ على التقاط انفاسها خوفاً من عدم قدرتها على ايجاد الكلمات من جديد. وكلمته عن متجر المطرزات الذي لا يجذب سوى القليل من الزبائن. ثم، وعندما كادت تضعف تذكرت كلمات مدير الفندق:

«نحن لا نستقبل الكثير من السواح في لاسو. و... وليس لدي عمل كثير. ففكرت بأنه بامكاني ان اجد عملاً اضافياً...».

هز برايس تايلور رأسه مفكراً.

«الديك خبرة في هذا النوع من الاعمال، آنسة مارتندال؟».

«اوه، نعم!». ونقلت نظرها على المكتب المليء بالاوراق. انها موجودة على أرض مألوفة لديها. ودون ان تدري استرسلت في الكلام.

«اجيد الطبع على الالة الكاتبة، واجيد كل انواع الاعمال المكتبية. سبق ان عملت سكرتيرة لعدة اعوام قبل ان انتقل الى البورتغال...».

ورغماً عنها، نجحت في اقناع المدير الشاب ولاحظت ذلك عندما نهض وسألها:

«متى يمكنك ان تبدأي؟».

فنهضت بدورها وعاد القلق يفترسها من جديد.

«انا... انا...».

«بعد ظهر هذا اليوم؟».

«انا... اعتقد...». وحاولت ان تخفي دهشتها.

«حسناً! سأوصلك الس منزلك، وحاولي ان تكوني هنا في الساعة الثانية بعد الظهر».

«اوه، لا ضرورة لان تزعج نفسك». اكدت له رغم اضطرابها. «لا اريد ان اؤخرك عن متابعة عملك».

«لا تقلقي، ليس لدي شيء هام الآن، على كل حال، يجب ان اذهب الى المدينة».

لم تتمكن سارا من الرفض اكثر، فتبعته الى سيارته وساقاها ترتجفان. لكنها حاولت ان تبدو هادئة. كما حاولت بيأس ان تتذكر الطرقات. بامكانها أن تعود الى المتجر سيراً على الاقدام. ماذا سيحصل اذا اختار المدير طريقاً آخر؟.

«نحن نفضل ان نستخدم اناساً يعرفون مهنتهم جيداً، آنسة مارتندال. ويبدو انك كذلك».

«نعم».

ومرا ببعض الصيادين وبحي قديم جداً. فسألها المدير فجأة:

«اذاً كيف نصل الى متجرك؟».

فانتفضت وحاولت ان تثبت له حيويتها وسرعة بديهتها.

«في الحي التجاري في وسط المدينة». اجابته بسرعة. وكان من الطبيعي ان يكون الحي التجاري في وسط

المدينة.

فغير المدير اتجاهه وسلك طرقات لاسو الضيقة. فشعرت الفتاة بالارتباك، فهي لا تعرف هذه الطرقات. وبعد قليل سألها بمرح:

«والآن، كيف نتجه؟».

«انا لا املك سيارة». اجابته بتوتر. «سيراً على الاقدام، نرى الاماكن بشكل مختلف».

تابعت السيارة تقدمها، واخيراً وبمجرد الصدفة، انقذت سارا نفسها على محل للاقمشة، ولاحظت انهما وصلا الى ساحة على شكل هلال. فأشارت باصبعها وصرخت بحماس:

«انه هنا! شارع ترينداد!».

«واخيراً!».

استعادت ثقتها بنفسها، ونزلت بهدوء من السيارة وتوقفت امام متجرها. لكنها ترددت قليلاً عندما رأت برايس تايلور ينزل من سيارته ويتقدم نحوها وقد دس يديه بجيوبه.

«انت مرتاحة في سكنك؟». سألها وهو يتأملها.

فتحت الباب وتجنبت الاجابة على أمل ان يذهب. لكنه لم يفعل، بل تبعها الى داخل المتجر. وتفحص باهتمام المطرزات المعروضة.

لشدة ارتباكها، اخذت سارا تتظاهر بالبحث في حقيبة يدها عن شيء ما. وعندما انهى جولته على المعروضات، اقترب المدير منها:

«سنلتقي اذاً في مكتبي في المرفأ الساعة الثانية». ذكرها

بلطف.

ارتاحت وشعرت بالفرح. لقد نجحت! وحصلت على وظيفة مساعدة المدير في الشركة النفطية. فضلت ان تنس آل كارفالو قليلاً على أمل ان تنجح في الثأر من السيد غرابلويل الذي اعتبر ان خدماتها في مؤسسته ليست ضرورية.

في الساعة المحددة، دخلت الى مكتبها الجديد. فشرح لها برايس تايلور، ما ينتظره منها. كانت تعاليمه واضحة ودقيقة.

كانت سعادتها كبيرة في الجلوس وراء مكتب، وتأقلمت بسرعة مع العمل الذي كانت معتادة عليه منذ سنوات طويلة.

في الايام التالية، لم تقض اية ساعة في متجرها، كانت تبدأ عملها في التاسعة صباحاً ولا تنتهي قبل الساعة الثامنة ليلاً. كانت بغاية الشوق لترتيب كل هذه الاوراق والملفات المكدسة في المكتب.

هذا المجال يختلف كثيراً عن مجال عمل الدراسات القانونية في سوثمبتون إلا ان لغة عالم النفط اصبحت بالنسبة لها مألوفة بسرعة كما كانت لغة القضاء.

كان برايس تايلور يروح ويجيء دون توقف. ولم تحاول سارا ازعاجه إلا عندما كانت بحاجة لمساعدته. كانت مثله تكرس كل وقتها لعملها.

مر اسبوعان قبل ان تتذكر اتفاقها مع آل كارفالو. فذات صباح، وجدت على مكتب المدير مجموعة وثائق وأوراق

كبيرة. فقررت ان ترتبها على الفور. وتفاجأت عندما لاحظت خريطتين ملفوفتين. ففتحتهما اولاً بدافع الفضول. كانت الأولى منظر جوي للمنطقة تمثل الساحل على طول سبعة عشرة كيلومتراً. يبدو انها تحدد للتقنيين امكنة عملهم. الثانية كانت تمثل الأراضي المحيطة بالمرفأ، وكلها مقسمة باشكال غير منتظمة وتحمل أرقاماً. والبعض منها مشار اليه. بدون شك هذه الأراضي حصلت عليها الشركة.

امام هذه الفكرة، تذكرت الفتاة السيد كارفالو. هذه الخريطة تهمه بالتأكيد. تأملت الخريطة وهي تفكر بتنازع الرجال على الأراضي والمصالح. انغمست في تأملاتها وهي منحنية فوق الخريطتين. وفجأة فتح الباب ودخل برايس تايلور ونظر اليها بابتسامة جافة.

«اتجدينها مثيرة، آنسة مارتندال؟».

انتفضت الفتاة وكأنها ضبطت امام مسروقات. لم تستطع التصرف كي تنقذ نفسها، فاحمر وجهها، ولحسن الحظ كان المدير مشغولاً بتفحص بعض الأوراق ولم ينتبه لارتباكها.

«علقيها على الجدار. هكذا نراها كلنا».

ظلت ساقاها ترتجفان الى ان غادر المدير الغرفة. ولم تره إلا بعد الغداء عندما دخل فجأة الى المكتب كعادته، ونظر بعين الرضى الى الخريطتين المعروضتين على الجدار. ثم وجه للمرة الثانية في نفس النهار الصدمة الثانية لمساعدته.

«رتبي كل ملفاتك، آنسة مارتندال. واستعدي لمغادرة المكان بين لحظة واخرى».

مغادرة المكان؟ بعد ان بدأت تشعر بالانتماء اليه؟.

اخفت ارتباكها خلف قناع من الجليد واجابته ببرودة:

«كنت اعتقد ان ظروف عملنا الحالي تناسبك جيداً».

«مهمتنا هذه ليست سوى بداية». اجابها بابتسامة عريضة جعلت قلبها يدق بسرعة.

وسار ببطء وكأنه يحاول كبت الطاقة التي تجيش بداخله. واخيراً، التفت نحوها وقال:

«لديك فكرة عن الخطوات التي يجب القيام بها من اجل انشاء مصفاة بترولية؟».

كانت الفتاة تعرف لكنها لم ترغب بالاعتراف بذلك.

«انشاء مثل هذه المصفاة». تابع برنيس. «ليس منظراً جميلاً. ولا عملاً سهلاً. يجب علينا اقناع السكان المحليين بأنه من الممكن تحقيقها دون تغيير في معالم الطبيعة. نحن بحاجة للأرض ولتعاون الناس... يجب علينا ان نعقد علاقات مع مالكي المنطقة كي نحصل منهم على ما نريده». ثم تأمل سارا بعيونه الخضراء الساحرة بشكل صعب على الفتاة تتبع كلامه جيداً.

«يجب ان نقنعهم، آنسة مارتندال».

كان قد سبق للفتاة ان سمعت من السيد كارفالو وعن اهمية رأي السكان. فتأملت ملامح مديرها واحست بمدى حيويته وحماسه. كان في السابعة والثلاثين تقريباً من عمره، ومع ذلك كان يشغل منصباً مهماً جداً في الشركة

النفطية. وكان لا يزال يتابع كلامه، فحاولت ان تظهر اهتمامها.

«كي نبدأ، نحن بحاجة لمنزل يقع خارج لاسو، فيلا يمكننا ان نستقبل فيها هؤلاء الناس على قدم المساواة». ثم نظر اليها نظرة خارقة واضاف: «انا لست متزوجاً، آنسة كارتندال. وسأكون اذاً بحاجة لتعاونك خلال هذه الاستقبالات».

اخذ قلب الفتاة يدق بسرعة، هذا يعني انه يجب عليها ان تلعب دور المضيفة امام هؤلاء الذين يجب اقناعهم. ايمكنها تحمل هذا الوضع؟.

فحاولت ان تخفف من حماسه لهذه الفكرة، فسألته بجفاف:

«اتقصد انك ستشتري فيلا فقط من اجل الاستقبالات؟».

«في الاعمال، نحن لا نتردد باستعمال كل الوسائل». ثم نظر الى ساعة يده وكأنه على موعد هام. «سأمر لاصطحابك غداً في الساعة العاشرة صباحاً لنزور المنازل المعروضة للبيع في المنطقة». ثم خرج وظلت سارا متوترة طوال فترة بعد الظهر.

وعندما عادت الى منزلها زاد توترها. فبرايس تايلور سيأتي لاصطحابها صباح غد. وهذه الفكرة تقلقها. هكذا تكون مضطرة لمساعدته في اختيار الفيلا التي تسمح له باستقبال السكان المحليين. كي يتمكن من الوصول الى اهدافه.

لم تنم جيداً هذه الليلة، ونهضت باكراً كي تستعد للتجربة التي تنتظرها. لكن المدير الشاب تمكن من مفاجأتها. لقد وصل في الساعة التاسعة وليس في الساعة العاشرة كما قال.

وكانت سارا قد خرجت لشراء الخبز، وعند عودتها تركت باب المتجر مفتوحاً. تجمد الدم في عروقها عند صوت الجرس الذي يرن فور دخول احدهم. فقررت ان تنزل بعد لحظات، لكنها تفاجأت عندما سمعت وقع خطوات على السلم. فجمعت ما تبقى من فطورها عندما ظهر امام الباب.

إلا انها لم تخفي انزعاجها لاقتحامه مسكنها الخاص بهذا الشكل. لكنه لم يبد انه لاحظ انزعاجها، وعندما نظفت الطاولة، قال وهو يهز كتفيه:

«لاتزعجي نفسك من اجلي».

وبعد قليل عندما خرجت من غرفة نومها وجدته لا يزال في الصالون يتصفح بعض الكتب.

«أنذهب الآن؟». سألته بجفاف.

لم يجبها، ودس يديه في جيوبه ثم اخرجها وبدأ يسير ببطء وكأنه يفكر بأشياء تشغله كثيراً. لكن سارا لم تكن ترغب بمعرفة السبب. واخيراً قرر الكلام، وجعل مساعدته تفقد ما بقي من ثقتها.

«كنت اعتقد انني كنت واضحاً. آنسة مارتندال، بأن عملنا يقتضي اكتساب الناس لصفنا. اذاً كان يجب ان تكوني متفهمة». وتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها.

احست سارا بالدم يغلي في وجهها. وحاولت ان لا ترتبك وأجابته بجفاف:

«ماذا تقصد ان تقول؟».

فألقى نظرة سريعة عليها من جديد ثم قال بسرعة:

«حسناً، هذه القبعة، مثلاً، أأنت مضطرة لوضعها؟».

كي تخفي دهشتها، ابتسمت له بجفاف. وكانت قد فكرت في الايام الاخيرة ان تشتري بعض الملابس الجديدة، لأنها لم تكن قد احضرت معها سوى هذين التيارين. لكنها لم تكن تتوقع ان تسمع من احد مثل هذه الملاحظة.

تجاهلت ملاحظته المهنية واتجهت نحو الباب. بدون شك لا يجب ان تغضب من اجل ملاحظة من هذا النوع، ولكنها لا تستطيع شيئاً.

هذا كان أول حادث في هذا النهار برفقة برايس تايلور. وكان من عادة سارا ان تغادر المتجر في الساعة الثامنة صباحاً ولا تعود إلا في المساء. وهكذا لم تضطر لمواجهة الزبائن ابداً. لكن هذا الصباح، كان الباب لا يزال مفتوحاً، عندما نزلت من شقتها في الطابق الاعلى. وأدركت على الفور انها ستواجه مشكلات عندما لمحت سيدتين تتأملان الواجهة. وأرادت ان تسرع كي تمنعهما من الدخول الى المحل. لكن برايس انحنى عند دخولهما.

«قد يكون من الافضل ان تهتمي بهاتين الزبونتين».

نظرت سارا اليه بحدة وحاولت ان تظهر مقدرتها في البيع والاقناع. فتمالكت ارتباكها وعرضت عليهما بعض

المطرزات، لكن السيدتين اجابتا بابتسامة مهذبة. تمنت الفتاة ان تختفي تحت الأرض، فوجود هذا المدير يربكها كثيراً.

قرر برايس اخيراً التدخل، فتناول عن احد الرفوف محارم مطرزة مع شرشف للطاولة. وامام اعجاب السيدتين، كان فخوراً جداً بنفسه وحسن اختياره. وبعد ان تحدث معهما باللغة البورتغالية، ناولها الشرشف وقال لها مبتسماً:

«انهما ترغبان بمعرفة سعره».

اضطربت سارا وتفحصت الشرشف.

«لا بد ان السعر موجود في احد اطرافه...». ولحسن الحظ، كان السعر موجوداً، فدفعت السيدتان ثمنه وخرجتا.

«كنت اظن انك اكتسبت بعض الكلمات البورتغالية». قال لها برايس بمكر.

«انا أتدبر امري جيداً عندما اكون وحدي». اجابته بتوتر شديد.

واخيراً ركب السيارة، والفتاة تتساءل اذا كان موقفها منه سيكلفها وظيفتها الجديدة. لكنه التزم بالصمت وكان يبدو مشغول الفكر.

وصلا الى ضاحية لاسو وزارا عدداً من المنازل، ولم يتوفقوا. كانت المنازل صغيرة لا تناسب الاستقبالات، وبعيدة جداً عن المدينة. فعادا الى المنزل مع مغيب الشمس، وكان النهار متعباً، فنامت الفتاة بسرعة بعد حمام

منعش.

في الصباح التالي، عندما عادت من السوق، تركت الباب مفتوحاً لكنها علقت على الباب لوحة «مقفل» كي لا تشجع من يرغبون بالدخول. ان فكرة الذهاب من جديد للبحث عن منزل لا تعجبها، ولكن برايس لا يبدو مستعداً للتخلي عن هذه الفكرة.

كان النهار حاراً مشمساً، وبعد تناولها الفطور، نزلت سارا الى المتجر، واختارت قميصاً مطرزاً يتناسب مع تيارها الأزرق. ولكنها احتارت بشأن شعرها الأشقر الذي يصل حتى أعلى عنقها. فهي عادة كانت تضع قبعة، وبدونها لا تعرف كيف تسرحه. واخيراً، تركت تعض الخصلات حول وجهها. مع منظرها الجديد. وفجأة ارتبكت وتسمرت مكانها عندما رن جرس الباب. قبعتها! كيف ستخرج بدون قبعتها؟ فرغبت بأن تسرع الى الأعلى لتحضرها، لكن برايس تايلور دخل بهذه اللحظة، فحاولت ان لا تظهر اضطرابها وتظاهرت بالبحث في حقيبة يدها عن شيء ما كعادتها في مثل هذه المواقف.

واخيراً رفعت نظرها، وتظهارت بأنها تفاجأت بدخوله. فأحنى رأسه وتأملها بنظرة ناقدة:

«هكذا افضل بكثير». قال بابتسامة ساخرة.

احمر وجهها مع انها سرت بهذا الاطراء الغير مباشر.

«سنزور اليوم الضاحية الشرقية». قال لها برايس وهما يتجهان الى السيارة. «يقال ان منازل تلك المنطقة كبيرة. قد تكون تناسب حاجة الشركة».

تمنت سارا ذلك من كل قلبها، لأنها لا ترغب بقضاء النهار كله في السيارة. للحقيقة، كانت تحترق من الرغبة في العودة الى مكتبها، هناك على الأقل تكون قادرة على السيطرة على انفعالاتها.

بعد الظهر، كان الانكليزيان قد زارا كل المنطقة الشرقية. ولم تكن سارا ترغب سوى بالعودة، لكن عناد برايس تايلور وتر اعصابها. فأسندت رأسها على ظهر مقعدها وأخذت تصلي كي يقرر العودة اخيراً. وفجأة انتبهت الى انه سلك طريقاً جانبياً يؤدي الى تلة خضراء تطل على مياه المحيط. وتوقف برايس امام منزل كبير واسع.

قامت سارا بجولة حول المنزل، بينما فتح برايس الباب المعلق عليه لوحة «للبيع». كانت الحديقة واسعة، مليئة بالأشجار، وللمنزل شرفة واسعة تغطيها الدوالي، وتطل على حوض سباحة مستدير الشكل لكنه خال من المياه. وقعت سارا على الفور تحت سحر هذا المنزل، وبدا لها انها تعرف كيف سيكون داخله. وبالفعل، كانت الغرف واسعة، والسقف مرتفع والنوافذ مقببة والأرض مبلطة بالرخام. والغرف العشرة كلها منيرة. والصالون الكبير يطل على البحر. فتخيلت سارا شروق وغياب الشمس التي يمكن التمتع برؤيتها كل يوم من هنا.

نزل مديرها من الطابق العلوي واتجه نحوها مسرعاً ففهمت من ملامح وجهه انه متحمس لهذا المنزل.

«ما رأيك، آنسة مارتندال؟».

تأثرت سارا كثيراً بحيويته وببريق الفرح الذي يلمع في عيونه. هل تعكس عيونها نفس البريق؟ على كل حال، لم ترغب بالاعتراف له كم هذا المنزل يعجبها. فقالت بهدوء:

«برأيي، انه الأفضل بين كل المنازل التي زرناها حتى الآن».

«عظيم». ثم نظر الى ساعته وأضاف: «اليوم هو الاربعاء. غداً، سأوقع العقد. والجمعة، سأمر لاصطحابك لنذهب الى ليشبونة».

«ليشبونة؟ لماذا؟».

«لنشتري الأثاث. هناك معارض كبيرة، يجب ان تمضي اجازة نهاية الاسبوع هناك، انصحك اذاً بأن تستريحي يوم الخميس».

طوال طريق العودة، ظلت الفتاة مضطربة. لماذا يفرضون عليها قطع كل هذه المسافات؟ وبرفقة برايس تايلور هذا الذي اربك وجودها منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها.

حاولت في المساء ان تتمالك قلقها، وأقنعت نفسها بأنها سترفه عن نفسها بهذه النزهة الطويلة، وبعد العشاء، تفحصت خريطة البورتغال. ان ليشبونة تبعد اكثر من ثلاثمائة كيلومتر عن لاسو. هذا يعني انها ستمضي خمسة ساعات على الأقل الى جانب برايس تايلور. لا، لا يمكنها تحمل ذلك! فهي تشعر دائماً بالارتباك والضعف امامه دون ان تدري السبب. ماذا ستفعل خلال هذا الوقت كله؟.

استيقظت في اليوم التالي بوقت مبكر، وهي لا تزال

فريسة لنفس الهواجس. وبعد تناول الفطور، ارتدت ملابسها وأخذت تروح وتجيء في الغرفة بانتظار وصول برايس. وما ان لمحت سيارته من النافذة، حتى نزلت بسرعة تحمل حقيبتها التي وضعت فيها بعض حوائجها، وحقيبة يدها.

لم يكن المدير يرغب باضاعة الوقت، فما ان جلست بقربه حتى ادار محرك السيارة، وانطلق مسرعاً. كانت الطريق مستقيمة وجيدة، فتقدمت السيارة بدون جهد كبير. بدأت سارا تشعر بالاسف لانها ليست ثرثارة، لان هذا الصمت ثقيل جداً. وعندما يأست فتحت احدى المجلات وأخذت تتصفحها. بدون شك، كان برايس تايلور يشاركها نفس الاحساس، لانه ادار فجأة زر الراديو. وبينما كان يستمع لنشرة الأخبار باللغة البورتغالية، كانت سارا تحاول السيطرة على توترها، والتركيز على القراءة رغم هذا الضجيج. بعد قليل، رفع صوت الموسيقى، فشعرت الفتاة بأنه يحاول اغاظتها برفع الصوت عالياً.

توقف الانكليزيان في كويمبر للغداء. وأثناء تناول الطعام، سجلا لائحة بالمفروشات التي تناسب المنزل.

اشتد الحر بعد الظهر، فخلعت سارا جاكيتتها وعادت تقرأ في مجلتها دون ان تركز على شيء فيها. اما برايس، فاستمر في رفع صوت الراديو. وما ان ينتهي برنامج موسيقي حتى ينقل الموجة الى برنامج موسيقي آخر، الى ان وصلا الى ليشبونة.

«الوقت متأخر ولن نستطيع القيام بأي شيء». قال

المدير وهما يتقدمان وسط زحمة المدينة. «الأفضل ان نتجه فوراً الى الفندق».

سرت سارا بهذه الفكرة، وأعجبت كثيراً بفخامة فندق الشيراتون الذي يقع في حي راق ويبدو انه أفضل فنادق البورتغال. تقدم برايس أولاً من مكتب الاستقبال للقيام بالشكليات الضرورية. ثم قادهما خادم نحو المصاعد.

«ستكون لنا الغرفتان أربعمائة وثمانية وأربعمائة وتسعة». قال لها برايس. «انها في الطابق الرابع. سيحضرون لنا العشاء الى الغرف».

- ٤ -

دخلت الفتاة غرفتها، ورتبت اغراضها وقامت بجولة في الغرفة الواسعة المكيفة ثم في الحمام الرخامي. وكانت للغرفة شرفة صغيرة، وقفت سارا تتأمل حركة الشارع ومقراً منتصباً فوق احدى التلال، لكنها فجأة سمعت خطوات قريبة. ومن خلال الدرابزين الحديدي الذي يفصل بين الشرفات المتصلة، لمحت برايس تايلور مستنداً على درابزين شرفته. فأسرعت ولجأت الى داخل غرفتها.

بعد قليل، احضروا لها العشاء، وكان شهياً وخفيفاً. تناولت الطعام بشهية ثم ارتدت قميص نومها ورغبت بالوقوف قليلاً على الشرفة لتتنشق الهواء وتتمتع بمنظر المدينة أثناء الظلام. لكن المشهد الذي رأته من خلال الدرابزين المشترك بين الشرفتين جعلها تتسمر مكانها. انه

لا يزال هناك! كما وان رائحة التبغ المنتشرة على الشرفة، كانت تدل على انه كان يدخن الغليون. ظلت واقفة مكانها ولم تزعجها رائحة التبغ لكنها لم تكن قادرة على تحمل الاحساس بهذا الرجل القريب جداً. كانت ترغب بالجلوس معه وتخاف من هذه الفكرة بنفس الوقت. وانتظرت ان يقرر الدخول. لكنه لم يفعل. وعندما نامت، كان لا يزال على الشرفة.

في صباح اليوم التالي، استيقظت باكراً عندما احضروا لها الفطور. كانت الشمس مشرقة في السماء، فرغبت الفتاة بتناول فطورها على الشرفة.

فدفعت الطاولة المتحركة نحو الشرفة، لكنها للاسف، اضطرت للتراجع، لان برايس تايلور كان قد سبقها. فكتمت غيظها وتناولت الفطور في الداخل.

بعد نصف ساعة، دق برايس على بابها وحياها تحية الصباح بحرارة دون ان يلاحظ غضبها.

«سيكون لدينا الكثير لنفعله هذا اليوم». قال لها في المصعد. «فالأفضل ان نبدأ على الفور».

هزت الفتاة رأسها موافقة وتبعته الى السيارة. كان السير مزدحماً جداً، لكن السائق لم يفقد هدوء اعصابه. واخيراً وصلا الى شارع الحرية القليل الازدحام ثم نزلوا نحو الحي التجاري.

«سنزور أولاً المعارض الكبيرة». اقترح برايس وهو يركن سيارته.

وهكذا دخلا الى معرض كبير للمفروشات، وذهلت

الفتاة بكثرة المعروضات لكنها لا شيء منها أعجبها. وبعد ان زارا كل الاجنحة، غادرا المعرض خائبين.

ثم قاما بجولة على معارض اخرى سيراً على الأقدام ولكن بدون نتيجة. وبدأت الفتاة تيأس، عندما، لفت نظرها واجهة احد المحلات الكبيرة، فالتفتت نحو برايس ولاحظت انه ايضاً لفت نظره، فدخلا وتأثرا على الفور بالجو الرائع الذي يسوده.

وبنفس الوقت، وقع نظرهما على طاولة طويلة قديمة. ووصل برايس اليها قبلها ومرر يده بحب على سطحها الخشبي.

«انها مناسبة، اليس كذلك؟».

لم تستطع سارا ان تقاوم رغبتها في لمسها ايضاً.

«انا من رأيك تماماً» تابعا جولتهما وتوقف برايس بحماس طفولي امام صالون بني رائع ومريح.

«ما رأيك بهذا الصالون؟».

«انه بالفعل ما نحتاج اليه».

«وما رأيك بهذه الطاولات الصغيرة؟».

«تناسبه تماماً». اجابته بمثل حماسه. وأدهشها اتفاق اذواقهما. هذه أول مرة تختار فيها أثاثاً. فشقتها كانت لا تزال على الأثاث الذي أشرف عليه والدها. والشقة التي تقيم فيها في لاسو، لم تتدخل هي في أثاثها. ومع ذلك، هي تشعر بأن هذه المفروشات مناسبة تماماً للمنزل الذي اشتراه برايس للشركة. يبدو ان برايس يشاركها احساسها هذا.

وتابعا جولتهما في المعرض، وكانا يعجبان بنفس اللحظة بنفس القطع من الأثاث. في كل مرة، كان يحمر وجهها دون ان تعرف السبب.

«لو نتناول الغداء، الآن؟ سنتابع جولتنا بعد الظهر».

«حسناً». اجابته وأدارت وجهها كي تخفي ارتباكها.

تركا البائعين يهتمون بالتوضيب والشحن، وعادا الى السيارة. تساءلت الفتاة اين سيتناولان الغداء، لكن كان يبدو ان برايس لديه فكرة. فغادر الشوارع المزدحمة واتجه الى شارع رئيسي وركن سيارته جانباً. واصطحب الفتاة الى مكان يشبه استراحة لرجال الاعمال الأثرياء. ارتبكت سارا في هذا الجو. لكن برايس قادها بهدوء نحو طاولة منزوية في جو حميم، فشعرت ببعض الراحة مقابل مديرها الذي ابتسم لها مشجعاً.

تناولا الغداء وهما يتناقشان حول الأثاث وكيفية ترتيبه. كانا يتكلمان بحماس لدرجة ان سارا التهمت طعامها بشهية لم تكن تتوقعها.

كانت الساعة الثالثة عندما غادرا المطعم. وكان امامهما الكثير ليفعلونه. واختيار قماش ولون الستائر استغرق وقتاً طويلاً. ووافق برايس على ما اقترحته سارا بكل سرور في آخر فترة بعد الظهر في احد المحلات التي تعرض آخر ما توصلت اليه موضة العصر.

الأشياء الاخرى تم اختيارها بدون صعوبة. وفي محلات الاشياء الفنية، اختارا لوحات وتحفاً فنية رائعة، ثم اشتريا السجاد الفاخر المصنوع في البورتغال.

كان التجار يقفلون محلاتهم عندما عادا اخيراً الى السيارة. عندئذ فقط، لاحظت سارا كم هي متعبة. ولم تكن قد شعرت بمرور الوقت. وكانت الساعة تشير الى الثامنة عندما وصلا الى فندق الشيراتون.

وامام باب غرفتها، توقف برايس وقال بشكل مفاجىء كما ولو انه ليس معتاداً على الكلام بغير مواضيع العمل:

«يوجد مطعم فاخر وهادىء في الطابق الاخير من الفندق. اترغبين بتناول العشاء فيه، هذا المساء؟».

«حسناً».

وكانت المواضيع التي تطرأ هي لها، كلها تخص العمل. فسألته وكأنها تأخذ موعداً للعمل:

«في اية ساعة؟».

«اوه، التاسعة والنصف». قال وهو يفك عقدة كرافاته بعصبية. فهزت رأسها ودخلت غرفتها.

خلعت ملابسها وارتدت روبها واستلقت على السرير بضعة دقائق، ثم أخذت حماماً ساخناً. وهي تفكر بهذا الموعد كأنه موعدها الأول.

كانت على أهبة الاستعداد عندما جاء برايس يطرق بابها. فانضمت اليه بسرعة ونشاط كعادتها.

نقلهما المصعد الى الطابق الاخير. فأعجبت سارا بمنظر السماء المتلألأة بالنجوم وهي تجتاز الشرفة الى جانب برايس، وكان منظر المدينة من الأعلى رائعاً. والمطعم كان هادئاً تنتشر فيه طاولات مستديرة يعلوها شراشف حمراء طويلة، وتنعكس الأنوار الخفيفة على

الأواني والكؤوس الكريستالية.

قادها برايس الى طاولة قرب النوافذ الواسعة. وهذا الجو اللطيف، جعل الفتاة تشعر ببعض الارتباك وجهاً لوجه امام مديرها. كان يبدو انه قد حجز هذه الطاولة مسبقاً، لانه لم يتعرض لهم احد بأي سؤال رغم ان اكثر الطاولات مشغولة.

تفحصا معاً لائحة الطعام، واختار برايس اصنافاً لم يسبق للفتاة ان تذوقتها. وسألها ماذا تختار كمشروب. لكنها هذه المرة ايضاً تركت الخيار له. ولم تستطع إلا ان تعترف بمواهبه، فالمطعم والجو الهادىء والطعام، كان كله متناسباً. بالتأكيد هي لم تكن معتادة على المشروبات الكحولية، فأحست على الفور بخديها يشتعلان. ولاحظت بين الحين والاخر، ابتسامة تعلو شفتي برايس، وتزيد من وسامته وجاذبيته القوية.

تأملت سارا الافق وهي ترشف قهوتها، ونسيت المكان الموجودة فيه. فجأة سمعت صوتاً انثوياً قطع احلامها:

«برايس! برايس تايلور! ولكن ماذا تفعل هنا؟».

التفتت الفتاة نحو مديرها، فرأته قد نهض ووقف امام هذه المخلوقة الساحرة التي لم تر سارا مثلها سوى في السينما. قامتها الممشوقة تحت ثوب من الحرير الأسود، تشد خصرها بحزام ذهبي. وقفازيها يصلان الى كوعيها. ويكشف ثوبها عن كتفيها العاريين. بينما تتلألأ الأقراط الالماسية في اذنيها ويتدلى عقد من الذهب الالماس من عنقها. وشعرها النحاسي الطويل يحيط بوجهها الذي تعب

في تزيينه امهر المزينين.

«مساء الخير، ماجي». قال برايس مرحباً. «انا هنا من اجل انشاء مصفاة قرب بورتو». ثم التفت نحو الطاولة، وكأنه تذكر فجأة وجود سارا برفقته وأضاف:

«اقدم لك مساعدتي، الأنسة مارتندال».

«مساء الخير».

«تشرفت بمعرفتك». اجابت سارا وشعرت ببعض الانقباض. ولأول مرة شعرت بحقارة تيارها الطويل الأزرق وببساطة تسريحتها.

اقترت الخادم على الفور وأحضر كرسياً اضافياً، فانضمت ماجي اليهما.

الأنسة لافراي فنانة». شرح برايس لسارا وهو يبتسم لماجي.

ضحكت الآنسة لافراي وكأن هذا التعريف لم يعجبها.

«انا مغنية. لقد عدت لتوي من جولة في الولايات المتحدة وبعض مدن اميركا الجنوبية. هذه الجولة اتعبتني كثيراً. وسأقضي اسبوعاً في ليشبونة ثم سأرتاح لفترة في ايطاليا».

ثم دست ذراعها تحت ذراع برايس وأضافت بنظرات اللوم في عيونها المشرقة:

«ما الجديد في عالم النفط؟ أتدرك بأننا لم نلتق منذ ثلاثة أعوام؟».

«حقاً؟».

فلمعت عيونها ببريق مكر وأجابت بابتسامة عريضة:

«اتذكر تلك السهرة في القاهرة، عندما دفعت توبي ويلر في حوض السباحة؟».

نهضت سارا وأرغمت نفسها على الابتسام وقالت:

«اعذراني، سأعود الى غرفتي».

«ارجوك، آنسة مارتندال». اجابها برايس ونهض بدوره، وكأن الفكرة خطرت فجأة ببباله:

«بما ان الغد هو يوم احد، فانا اعطيك اجازة طوال النهار».

«شكراً، تصبحين على خير، آنسة لافراي». ثم غادرت المطعم بسرعة، دون ان تتلفت حولها. كانت تفكر بانقباض في قلبها في هذه اللفتة الكريمة من مديرها. هل نسي انه منحها يومي راحة، هذا الاسبوع؟.

دخلت غرفتها الواسعة بمزاج متعكر، ورغم تعبها الشديد، لم تستطع النوم. بعد ساعة، نهضت وارتدت روبها ووقفت على الشرفة، كان المنظر رائعاً في الظلام، لكن الفتاة كانت تفكر بشرفة جارها الخالية.

برايس لم يعد بعد. هذا غريب حقاً! فبالامس فقط كانت متضايقة لانه فرض وجوده طوال الوقت على الشرفة. والآن، وأثناء غيابه، تشعر بنفس الانقباض.

نظرت الى ساعتها مرة ثانية، لقد انتصف الليل، وأجبرتها برودة الليل على الدخول. استلقت على سريرها وهي تسترق السمع علها تسمع خطواته. وأشارت الساعة الى الواحدة ونامت ولم يكن برايس قد عاد الى غرفته بعد.

في اليوم التالي، كان الاحد، فتناولت فطورها في

غرفتها كالعادة. ولم تكن تعرف كيف ستقضي هذا النهار. على كل حال، لا ترغب بحبس نفسها داخل غرفتها. بعد تناول الفطور، ارتدت ملابسها وخرجت دون ان تلق نظرة على الشرفة، بعد ان القت نظرة سريعة نحو غرفة برايس التي كان يسودها الصمت.

كان النهار مشمساً، ولاحظت سارا ان كل المتنزهين يتجهون نحو ميدان غير بعيد عن الفندق، فقررت ان تفعل مثلهم.

بالفعل، ما ان دخلته، حتى وجدت فيه اناساً كثيرين. وسارت في الميدان الكبير والتقت بأولاد يلعبون الكرة وبنساء ينزهن اطفالهن، وعائلات تتسلى بمرح.

وصلت الى الباب المقابل وخرجت الى شارع الحرية وبدأت تنزل بخطوات سريعة. ولاحظت ان الشارع اطول بكثير مما يبدو عليه من السيارة، فقررت ان تتابع طريقها. على كل حال، وجدت لذة كبيرة في التمتع برؤية مشاتل الورود، واحداً من البط. وفي الاسفل، اكتشفت مطاعم ووكالات سفر ومخازن. . . .

- ٥ -

بدأت بعد قليل تشعر بثقل في قدميها، ورغبت بالتوقف وشرب مرطب. لكنها لم تجرؤ على الجلوس في المقاهي المطلة على الشارع حيث يجتمع الشبان البورتغاليون ويشيرون اليها ويلاحقونها بنظراتهم. وكان بعضهم ينظرون اليها بشفقة لانها وحدها. فالأفضل ان تتابع.

كانت المتاجر كلها مقفلة. ومع ذلك، لم ترغب سارا بالعودة سيراً على الاقدام. فقررت وبدون تفكير طويل، ان تتابع نزهتها. وفيما بعد، فهمت انها كانت مخطئة. اتجهت، رغماً عنها نحو شوارع ضيقة، ولم تكن تعلم انها في الحي القديم من لشبونة. والجو المحيط بهذا الحي جعل الفتاة تشعر بالاضطراب. كان من الاسهل ان تسلك

www.elromancia.com

الاتجاه المعاكس، لكنها لم تعرف كيف تتوجه.

فجمعت شجاعتها وتابعت سيرها. اليس من عادتها الاعتماد على نفسها والتصرف وحدها؟ وتقدمت في هذا الشارع وأعجبت بالشرفات المزينة بأنواع الورود، وبالنساء اللواتي يتبادلن الحديث من خلال النوافذ وينظرون الى سارا بفضول. ثم التقت بأولاد يلعبون في الازقة حفاة الاقدام، وبائعي السمك الذين ينادون على اسماكهم.

يبدو ان هذه الشوارع لن تنتهي، وسارا لم تعد تتحمل الألم قدميها. فنظرت الى ساعتها ودهشت عندما رأت انها الثالثة بعد الظهر، يجب ان تأكل وإلا ستنهار. وكانت قد لاحظت على طريقها عدة اماكن لبيع الاطعمة الجاهزة، لكنها لم تجرؤ على دخول احدها، وفي قمة درج طويل، وبعد ان هدها التعب، دخلت الى احد هذه المطاعم. كان المكان مليئاً بالرجال السمر الذين يعتمرون البيريه ويتكلمون وهم يحركون ايديهم القوية، ويضحكون بشكل يظهر اسنانهم السوداء. لم تكن سارا لتدخل ابداً لو لم تكن شديدة الاعياء. ومع ذلك جلست، وحاولت ان تبدو بشكل طبيعي.

وفور دخولها، التفت الجميع نحوها كأنهم يرون سائحة لأول مرة في حياتهم. تقدم الخادم منها فشرحت له انها تريد ان تأكل وتشرب. فأجابها بابتسامة تعني انه فهم واختفى. وعاد بعد قليل يحمل لها زجاجة مياه معدنية وطبقاً من الستيك والخضار المطبوخة بالطريقة البورتغالية. أرغمت الفتاة نفسها على ابتلاع هذا الطعام وعندما خرجت

من هذا المكان، قررت العودة بأسرع وقت ممكن الى الفندق. ولكن اي اتجاه تسلك؟ سارت طويلاً وتخطت لحظات القلق والتردد الى ان غابت الشمس ووصلت اخيراً الى الشارع الرئيسي. وبعد قليل من الانتظار، لمحت تاكسي، فنادت عليه بسرعة.

وما ان رأت فندق الشيراتون حتى شعرت بالراحة، فأسرعت الى الطابق الرابع، وقبل ان تخرج من المصعد، فكرت ان تخلع نعليها لكنها لم تجرؤ. قد تلتقي ببرايس تايلور صدفة! بجهد كبير عبرت الأمتار القليلة التي تفصلها عن غرفتها، والقت نظرة نحو غرفة جارها. لكنها لم تميز فيها اي صوت يدل على وجود برايس بداخلها.

بعد لحظات، كانت سارا تقف تحت مياه الدوش، ونامت بعمق فوراً عندما وضعت رأسها على الوسادة. ولم تستيقظ إلا عندما سمعت طرقات على بابها، ففتحت عيونها رغماً عنها ولاحظت ان الشمس مرتفعة في السماء.

«حان وقت العمل، آنسة مارتندال! لا يزال لدينا الكثير من العمل قبل عودتنا الى لاسو».

فأجابته بهدوء وكأنها مستيقظة منذ وقت طويل:

«حسناً، سأكون جاهزة بعد لحظات».

ونهضت رغماً عنها. الم يكن بامكان مديرها ان يتأخر قليلاً ريثما تتناول الفطور؟ كانت على وشك الخروج، عندما احضروا لها الفطور، لكنها لم تتمكن من تناوله كله لان برايس ظهر من جديد امام باب غرفتها. فنظرت اليه بجفاف:

«اسمح لي فقط ان اجمع حوائجي».

«أرجوك».

لم يكن برايس أفضل منها، هذا الصباح. كان يحمل ملف أوراقه وحقيبة سفره. فلم تستطع سارا ان ترفع نظرها عنه. هذا الرجل يسحرها ويربكها دائماً.

ظل برايس ينتظرها امام باب غرفتها، وسألها فجأة بابتسامة مصطنعة:

«هل قضيت نهار الامس جيداً؟».

«تماماً». وكانت تكذب.

هذا الجواب لم يبدو انه أعجب مديرها. أكان يتمنى ان تلزم الفندق بينما هو يتمتع بوقته؟ كانت سارا لا تزال تشعر بألم في قدميها بعد نزهة الامس، لكنها حاولت ان لا تظهر ذلك.

واخيراً غادرا الفندق وعندما صعدت سارا في سيارته، شمت رائحة عطر نسائي غير عطرها. فالتزمت الصمت وشعرت ببعض الانقباض.

جالا لمدة ساعة في المحلات ليتأكدا من توضيب مشترياتهما وكيفية شحنها باسرع وقت ممكن الى لاسو. خرجت الفتاة من المتجر الاخير وهي تعتقد انهما انهيا عملهما في ليشبونة ، ولم تكن قد فكرت بأمر الخدم، لكن مديرها قال وهما يعودان الى السيارة.

«نحن بحاجة لطباخين من الدرجة الاولى وكذلك لمدبرة لشؤون المنزل، اما الخدم فستتولى امرهم هناك في مكاتب التشغيل».

ثم صمت قليلاً واضاف.

«لقد اخذت لك موعداً عند كازيمور، انه اشهر مصممي الازياء في المدينة، وطلبت منه ان يساعدك باختيار بعض الملابس، سنذهب اليه على الفور».

«اهذا ضروري حقاً؟» سألته بجفاف.

«فور عودتنا، سنبدأ بالاستقبالات، لا اعتقد ان ملابس التويد هذه ستكون مناسبة للتأثير على سكان لاسو».

توقف برايس بعد قليل امام متجر كبير، ففتح لها باب السيارة، وقال لها بحزم.

نحن بحاجة لهذه المصفاة، آنسة مارتندال».

فنزلت من السيارة ونظرت الى هذه الواجهة الفاخرة قبل ان يبتعد، نصحها مديرها.

«سلمي نفسك لهم، انهم يعرفون ما ارغب به، فسأمر لاصطحابك فور تمكني».

تقدمت نحو مدخل المتجر دون ان تنظر الى مديرها وهي تشعر بالغضب الشديد، اذا كان يظن بانها سترتدي كصديقته المغنية ماجي لافراي، فهو مخطىء!».

فور دخولها، استقبلها رجل قصير القامة لكنه يبدو وكأنه يعرف كل شيء عنها وعن سبب مجيئها، ثم صفق بيديه فدنت منهما امرأة بغاية الاناقة واهتمت بسارا على الفور لم تكن سارا تهتم عادة بالاناقة، حاولت جهدها ان تكون لطيفة، بينما كانت البائعة تطلب منها ان تجرب الملابس التي اختارتها لها. كانت متأكدة ان هذه الملابس لن تناسبها ابداً.

لكن رأيها تغير عندما تأملت نفسها امام المرآة أهذه هي حقاً؟ لا يمكنها تصديق ذلك مع هذا الثوب من الحرير البني الذي تعلو صدره بعض الازهار المطرزة الرائعة، ودهشت ايضاً بالاحساس بالراحة بهذا الثوب الثاني الابيض العاري الكتفين والظهر.

«انه مناسب جداً لبشرتك، آنسة» قالت لها البائعة برضى تساءلت سارا اية اوامر اعطاها برايس، على كل حال، اثواب السهرة، تلتها تيارات صيفية رائعة وكذلك ملابس لقبل الظهر، وهذا لم يكن كل شيء، جربت سارا ايضاً احذية تناسب ملابسها الجديدة ثم قدمت لها البائعة مجموعة من أدوات التجميل والحلى والنظارات الشمسية والحقائب الجلدية والفولارات الزاهية الالوان.

تأملت سارا نفسها في المرآة وقد ارتدت تياراً اصفر صيفي وعقدت فولاراً معرقاً على عنقها وانتعلت حزاءً وحملت حقيبة مناسبة، فقالت لها البائعة مبتسمة.

«رائعة حقاً، اعتقد انك بحاجة للمسة ماكياج خفيفة...».

وبعد دقائق بين يدي البائعة اختفت السكرتيرة البسيطة وحل مكانها امرأة مثيرة واثقة من نفسها، غادرت الفتاة المتجر وتركت البائعة تهتم بعملية التوضيب والشحن. وكان برايس ينتظرها في سيارته، فجلست الى جانبه وعادت لجديتها، اذ كانت شخصيتها تغيرت قليلاً مع هذه الملابس، الا انها ترفض اظهار ذلك.

سلكت السيارة الطريق نحو لاسو، امامها ساعات طويلة

قبل الوصول، وسارا لجأت خلف جدار التحفظ الذي اقامته بينها وبين مديرها، لم تلمس مجلاتها ولم تكن قد ارتاحت بعد من سيرها الطويل الذي انهكها بالامس وظلت متكاسلة في مقعدها، ولحسن الحظ، لم يرغب السائق بسماع الراديو.

وصلا اخيراً لاسو، وكانت الفتاة تشعر بثقل في عيونها، فساعدها برايس في حمل حقائبها وفتح لها الباب وتمنى لها ليلة سعيدة وعاد بسرعة الى سيارته.

بعد السفر الى ليشبونة، اتخذت الحياة منحنى آخراً واستمرت المكاتب التي في المرفأ بالعمل ولكن الادارة انتقلت الى المنزل الذي اشتراه برايس في ضاحية لاسو، وتم استلام المفروشات واشرفت سارا بمساعدة الرجال على توزيعها على الغرف السفلى كانت سارا تمضي اكثر وقتها في المنزل يصطحبها برايس في الصباح ويعيدها في المساء الى شقتها، وكانت تشعر بسعادة ضمن هذا الفريق النشيط، وتابعت عملها كسكرتيرة وكانت تشغل مع المدير غرفة المكتبة الواسعة حيث تتكدس الاوراق على مكتبيهما، وكانت راضية جداً عن التغيرات التي احدثتها في المنزل، وكان برايس مشغولاً جداً ويترك لها كل الحرية.

ذات مساء كانت كعادتها تنتظره امام المدخل كي يعيدها الى شقتها، وكان العمال مجتمعين في الممر يضحكون ويتمازحون وعندما ظهر برايس قال احدهم.

«متى ستدعونا للعشاء ايها الرئيس؟ لقد اصبح المنزل

جاهزاً.

«عظيم، لن نتأخر بذلك، يجب ان نقيم علاقات جيدة مع السكان المحلين» قال ممازحاً.

لاحظت سارا انه بامكانه ان يكون لطيفاً مع الرجال بينما يعاملها دائماً ببرودة وتجيبه هي بموقف متحفظ ايضاً.

«لم تسمح لي الفرصة بعد برؤية المنزل بشكله الجديد».

اضاف برايس.

«قد تسمح الآنسة مارتندال بمنحي هذا الشرف؟».

اتجه العمال نحو سياراتهم، فشعرت الفتاة بشيء من القلق وهي ترافق مديرها بجولة في المنزل الكبير، وكانت تشعر بنظراته النافذة امام كل ما يراه، ثم انتقلا الى الطابق العلوي الذي تحولت غرفه لمكاتب ماعدا ثلاثة غرف تحولت للنوم، طوال هذه الجولة، لم ينطق برايس بأية كلمة وعندما نزلا مجدداً الى المدخل، اخذ قلب الفتاة يدق بسرعة بماذا يفكر واخيراً قرر الكلام.

«لو نقرب الطاولة الكبيرة من الحائط... هكذا نكسب فسحة اكبر... ما رأيك؟».

«نعم، هذا افضل».

وتبدد قلقها، برايس تايلور ليس رجلاً فظاً ولاحظت الرضى في نظراته.

وكان قد هبط الظلام عندما خرجا، تجول برايس قليلاً يتنشق رائحة الازهار في الحديقة بينما كانت سارا تهتم بأقفال الابواب.

«حسناً، «آنسة مارتندال، اعتقد ان «او سوداد» اصبح مساعداً لاستقبال الناس» قال بمرح وقد خرج عن تحفظه العادي.

«عفواً، لقد قلت «او...»؟».

«او سوداد، انه اسم المنزل الجديد».

ولاحظت سارا بريقاً غريباً في نظراته وهو يضيف.

«اوسوداد كلمة ستعجب البورتغاليين أدبياً معناها الحنين الى الماضي».

الحنين، ارتعشت الفتاة وارتبكت رغماً عنها. وكأنه احس بالحرج ايضاً، اضاف برايس بسرعة ولكن بهدوء.

رغم كونهم اسياد امبراطورية واسعة، الا انهم يحنون دائماً لحلم ضائع».

حاولت سارا ان تتمالك نفسها، لكن هذا لم يكن سهلاً.

«اذاً، المنزل سيفتح للزوار» قالت بصوت مرتجف.

«نحن اشتريناه لهذه الغاية» اجابها مبتسماً.

«انه ليس سوى طعماً متواضعاً لكنه سيسمح لنا بجذب اكبر رجال الاعمال في المدينة».

وقال وهو يجلس خلف مقود سيارته.

«ابتداء من الغد سنرسل بطاقات الدعوة وستكون أول حفلة استقبال مساء الاربعاء القادم.

كانت الايام التالية مليئة بالعمل، وكتبت كل الدعوات بمساعدة برايس، ولاحظت انه يضيف الى كل دعوة كلمة شخصية وكأنه يتوجه الى اصدقاء قدامى، وأمرها ببعث

المهام ونصحها بوضع الزهور في كل الغرف وبأن تكون الموسيقى تعم المنزل كله ايضاً واضطرت سارا للاقامة في احدى غرف المنزل لانها كانت تتأخر كثيراً في عملها وهذا يخفف عليها العودة الى شقتها مساء كل يوم وكانت ملابسها قد وصلت وبدأت الفتاة تتخلى عن مظهرها القديم.

- ٦ -

في يوم الاربعاء اقفلت مكاتب الشركة وكانت سارا حرة حتى ساعة وصول المدعوين، كانت تجلس وقت الغداء في غرفة الطعام المشمسة، وتشعر بالغرابة الى جانب برايس وهما يتناولان الغداء الذي اعده الطاهي البورتغالي وزوجته.

ومع اقتراب ساعة الاحتفال، بدأت سارا تشعر بالتوتر ولاحظت ذلك عندما دخلت الى الصالون تحمل كتاباً، ووجدت فيه مديرها يقرأ الصحيفة كانت مفاجأته كمفاجأتها فنهض فجأة عندما رآها.

احمر وجه الفتاة وارتبكت.

«انا آسفة... لم اكن اعلم انك هنا».

«لا داع للاعتذار».

www.elromancia.com

وكان انيقاً جداً وواثقاً من نفسه فنظر حوله بسخرية واضاف

«المكان يتسع لاكثر من شخصين».

هذا لا شك فيه، ولكن وجوده يربك الفتاة كثيراً.

«لا تزعج نفسك، سأقوم بنزهة قصيرة» واختفت على الفور دون ان تعرف الى اين تذهب، كانت خارج مجال العمل لا تعرف كيف تسيطر عل نفسها امامه فالافضل ان تبقى بعيدة عنه.

ودون ان تدري وجدت نفسها تنزل في طريق وعرة حتى وصلت الى الشاطىء الذي لم يسمح لها وقتها برؤيته من قبل وقفت تتأمل مياه البحر المتلألأة مع شمس المغيب، ثم التفتت الى الخلف ورأت قمة الاوسدادو من بين الاشجار بالطبع لو كان برايس تايلور متزوجاً لاختلفت الامور.

ولكان مع زوجته اقاما الاحتفالات في منزله كأي زوجين في العالم بعيداً عن مكاتب العمل، ولكن هذا المدير يبدو انه ينتمي الى عالم الرجال العازبين الذين يكرسون حياتهم للنجاح في العمل.

كانت غارقة في افكارها عندما سمعت فجأة حركة خلفها جعلتها تنتفض، وعندما التفتت وجدت نفسها وجهاً لوجه امام برايس تايلور.

«عندما قلت انك ستقومين بنزهة اعتقدت انك ستقومين بجولة لدقائق بحثت عنك ولم اجدك، كان يجب ان تخبريني اردتك ان تحضري لي ملف البيئة».

تفاجأت سارا بكلامه هذا، كانت تعتقد انها حرة حتى المساء ولم تكن تعلم ان برايس سيحتاج اليها. لا بد انه رآها وهي تخرج من المنزل، والا لما كان عرف اي اتجاه سلكت فأجابته بهدوء.

«سأحضره لك فور عودتي».

رفع الرجل نظره نحو الطريق الذي سلكته الفتاة وقال.

«من الخطر سلوك هذا الطريق للنزول الى هنا، لو سألت، لكنت اخبرتك انه يوجد ممر خاص يؤدي مباشرة الى الشاطىء» ثم دس يده في شعره واضاف.

«بما اني هنا، سأرشدك على هذا الطريق».

كانت الطريق التي سلكاها هذه المرة عبارة عن درج طويل ولم يكن اسهل من الطريق الحجرية الاولى، فاضطرت الفتاة للتوقف بين الحين والآخر، بينما كان برايس يصعد بكل سهولة، وعندما وصل قبلها الى الاعلى، انتظرها ووضع ذارعه خلف كتفيها وقال.

«هذه مدينة لاسو، ومن هذه الناحية، يمكننا رؤية مكان المصفاة الجديدة».

ارتعشت الفتاة عندما لامسها وارتبكت عندما احست بخده قريب جداً من خدها.

«ولمن تلك الاراضي؟».

«لمجموعه من العائلات الثرية» اجاب بسخرية.

«ولكننا نأمل بالكسب يجب ان اقنعهم بأن المال قد يفيدهم اكثر بكثير من هذه الهكتارات».

وعندما عادت سارا الى الصالون لاحظت ان صحيفة

برايس مرمية على الكرسي. كما وان المدير منذ عودتهما لم يلمح الى ذلك الملف الذي كلمها عنه.

في الساعة التاسعة، بدأت سيارات المدعوين بالوصول.

كان المنزل منيراً، وسارا في غرفتها تضع لمسات خجولة من البودرة وحمرة الشفاه، وكانت قد ارتدت ثوب السهرة، البني المطرز صدره بثلاثة ازهار رائعة ولشدة قلقها من مظهرها الجديد توقفت طويلاً امام المرآة الى ان أدركت اخيراً انها لن تتمكن من تأخير اللحظة الحاسمة الى الأبد، فقررت النزول وحاولت ان تتغلب على قلقها. لم يجد احد شيئاً غريباً في ملابسها، ونظر اليها الخدم باحترام. وعندما بدأ المدعوون بالتوافد، انضمت سارا الى برايس امام باب الدخول. وتبدد خوفها عندما لاحظت ان شكلها متناسب جداً مع هذا الاستقبال. ولكنها ارتبكت قليلاً عندما رأت برايس ببدلته السوداء التي تزيد من سحره وجاذبيته. وأحست بنظراته منصبة عليها وهي تقترب.

وكان كلما دخل ثنائي يبتسم لهما ويشد علي يديهما ويكرر بكل فخر:

«. . . وهذه مساعدتي، الآنسة مارتندال».

بعد هذا، وجدت الفتاة انه من الطبيعي ان تلعب دور المضيفة. كان الجو مرحاً. وكانت سارا تنظر خلسة الى مديرها وهو يثرثر مع مدعويه. ولاحظت، بانقباض في قلبها، انه قادر ان يكون لطيفاً جداً مع النساء عندما يريد. . . ومع ذلك أحست بأنه يتصرف معها كما تتصرف

معه، كانت متأكدة انه يعيرها نفس الاهتمام وينظر اليها خلسة كلما مرت امامه. ولكن فجأة، عندما التفتت، التقت بنظرات اخرى لا توحي أبداً بالثقة.

انه شاب في الثلاثين تقريباً، يبدو متعجرفاً، لكنه لا يرفع نظره عنها، لا بد انه رجل مهم في هذه المدينة. وبالتالي، فإن من واجبها ان توليه بعض الاهتمام. ومع ذلك. قررت تجنبه.

عند منتصف الليل، بدأ المدعون يستأذنون. وبعد رحيلهم، استعد برايس تايلور للذهاب ايضاً. فانضم الى سارا في المدخل وهو راض جداً عن هذه السهرة.

«اعتقد اننا أظهرنا لأهالي لاسو اننا نستطيع مواجهتهم على اية أرض كانت». قال بحماس. «لنأمل ان نراهم قريباً امام اقدامنا. . . تصبحين على خير، آنسة مارتندال».

غادر برايس المنزل وصعدت سارا الى غرفتها سعيدة جداً.

لم تمل سارا من تتالي هذه الاستقبالات، حتى انها أخذت تنتظرها كل مرة بفارغ الصبر. وعندما يكون الطقس حاراً، كانوا يقيمون الاستقبالات في حديقة المنزل، وكانت كلما مرت امام برايس، تلاحظ انه يتبعها قليلاً بنظراته.

خلال الاسبوع، كانت مكاتب الشركة في الاسوداد وتعمل بشكل طبيعي. وكان يحق للجميع باجازة يوم واحد على خمسة. وكذلك الأمر بالنسبة لسارا التي كانت تستغل نهار اجازتها بالتنزه على الشاطىء او بمرافقة الطباخ وزوجته الى المدينة بعد الظهر وتطلب منهما ان يمرا لاصطحابها

بعد انهاء مشترياتها.

وذات يوم، أوصلاها كالعادة الى محطة الاوتوبيس على ان يعودا لاصطحابها في الساعة التاسعة. توقفت الفتاة قليلاً وشعرت بخفة وهي تتأمل البائعين المتجولين.

وبعد ان قامت ببعض المشتريات، وقفت تتأمل واجهة احد المحلات. وفجأة أحست بيد قوية تمسك ذراعها، وبصوت يهمس:

«طاب نهارك، آنسة مارتندال. انهم ينتظرونك في وادي الأموريدا».

أحست الفتاة بذعر كبير، وعندما التفتت نظرت الى الرجل بدهشة ولم تتعرف عليه بسهولة: انه سائق آل كارفالو.

ارتبكت وحاولت ان تكسب الوقت، وأجابته بكل لطف:

«ولكن طبعاً. سأزورهم ذات يوم».

وعندما حاولت الابتعاد، اشتدت قبضته على ذراعها.

«اعتقد ان السيد كارفالو يفضل ان تأتين الآن». اعترض بحزم.

لم يعد امام سارا اي خيار آخر، فتبعته بهدوء الى شارع صغير حيث كان يركن سيارته. جلست سارا على المقعد الخلفي وقلبها يدق بسرعة. لقد مضى شهران على عملها في شركة البيراميدون. وأشياء كثيرة حصلت خلال هذه المدة. كانت سارا لشدة انغماسها في عملها الجديد تأمل ان يكون آل كارفالو قد قرورا التخلي عن فكرة مقابلتها

والاتصال بها. وعندما نقلت أغراضها الخاصة الى الاوسوداد كانت فقط على أمل التخلص منهم. ومع مضي كل هذا الوقت دون استلام اية اشارة منهم، اعتقدت بتفاؤل انهم تخلوا عن فكرة معارضة البيراميدون.

كم كانت ساذجة! لم يتوقفوا أبداً عن مراقبة تحركاتها، ولهذا وجدها السائق بسهولة. ماذا تفعل الآن وقد أصبحت في طريقها اليهم؟ الأفضل ان تنتهي منهم بسرعة.

عندما ظهرت جدران المنزل من البعيد، شعرت سارا بازدياد توترها، وعادت من جديد تحس بأنها حبيسة.

توقفت السيارة امام المنزل، وكان السيد كارفالو ينتظر على الشرفة.

«صباح الخير، آنسة مارتندال». قال لها بحرارة ومودة.

موقف سارا المتشنج لم يحبط من عزيمته. بكل لطف كعادته أشار نحو الباب.

«هل ندخل؟». وعندما أصبحا في المدخل قال لها على سبيل الاطراء:

«اتسمحين لي ان اقول لك انك تبدين رائعة؟».

لم تجبه، كانت تفكر بزيارتها الأولى لهذا المكان. كانت فتاة اخرى. وأصبح تيارها التويد وقبعتها الزرقاء بعيدين جداً، ولم تكن قد فكرت بالسيد غرابلويل منذ اسابيع.

لم يكن هناك احد من عائلة كارفالو. يبدو انه نصحهم بعدم الظهور. ولمحت الفتاة تبدل ملامح الرجل التي أصبحت جدية وهو يقودها نحو غرفة مكتبه.

جلست على نفس المقعد الذي جلست عليه في المرة الماضية. بينما جلس السيد كارفالو خلف مكتبه، فرك يداً بيد وسألها بفضول:

«لا بد ان لديك أشياء كثيرة ترويها لي، أليس كذلك؟».

«على العكس، أشياء قليلة، اخشى ذلك». اجابته بشرود.

«هيا!». اجابها بحدة. «نحن لا نجهل بالحركات التي تنشط في موقع المصفاة الجديدة، وفي مكاتب الشركة التي انتقل بعضها الى ضاحية المدينة.

ثم فتح جارورا، وبدهشة كبيرة، رأته يخرج منه خريطة مشابهة تماماً لتلك التي علقتها في مكتب برايس تايلور.

ابتسم السيد كارفالو، وأضاف مشيراً باصبعه الى منطقة المرفأ:

«يقال بأن الأخوة أوليفتاس قبلوا عروض البيراميدون. هل هذا صحيح؟».

مع ان البورتغالي لم يفقد شيئاً من سحره. الا ان سارا أحست بنظراته القاسية.

«اعتقد... اعتقد انهم اتفقوا حول السعر». اعترفت رغماً عنها.

«وحصلوا على اتفاق بشأن أراضي البلدية؟».

«ليس بعد، ستبدأ المفاوضات بهذا الشأن مع مطلع الشهر القادم».

وبكل لباقة ولطف، حصل السيد كارفالو من سارا على

كل المعلومات التي كان يرغب بمعرفتها. وكانت كلها معلومات محصورة ببرايس تايلور ومساعدته فقط. وبعد نصف ساعة، تبدلت ملامح البورتغالي لكن الفتاة لم تستطع ان تفهم شيئاً.

«السيد تايلور لم ييأس بعد». قال وهو يعيد الخريطة الى مكانها. «سمعت ان العداء في المدينة لمشروع المصفاة لا يزال على اشده. يبدو اننا حتى الآن لسنا بحاجة للقلق».

ثم اقفل الجارور بالمفتاح وسألها بلطف:

«اترغبين بكوب من الشاي؟».

«أفضل ان أذهب على الفور». اجابته الفتاة بصوت ضعيف.

لقد عاشت لتوها لحظات صعبة. ولكنها لم تفعل سوى ان نفذت عملاً كانت قد قبلت به. الآن، تشعر بالخجل والعار وترغب بالهرب من هذه الفيلا بأسرع وقت ممكن.

«حسناً، سأستدعي السائق على الفور».

بعد ان رن للسائق، رافقها حتى الباب. ثم امسك يدها وقال لها بكل احترام:

«اتمنى ان تكوني بتصرفنا عندما تستدعي الحاجة. الى اللقاء، آنسة مارتندال».

طوال طريق العودة، كانت الفتاة تفكر بهذين الشهرين اللذين غيرا مجرى حياتها الهادئة. أوصلها السائق الى شارع خال غير بعيد عن وسط المدينة. فاشترت بعض الحاجيات فقط كي لا تثير شكوك آل فالادان الطاهي

وزوجته اللذان كانا ينتظرانها في المكان المعتاد. فتظاهرت بالصداع والتزمت الصمت طوال الطريق نحو الاسوداد.

اليوم التالي كان مرهقاً بالنسبة لسارا، لم تتمكن من التركيز جيداً على عملها تحت تأنيب الضمير والاحساس بالذنب. كل ما كانت تراه او تلمسه في المكتب يذكرها بحديثها مع السيد كارفالو. وتوترها الشديد جعلها ترتكب الأخطاء لدرجة ان برايس تايلور لاحظ ذلك وقال بلهجة ساخرة:

«انت متوترة جداً كموظفة جديدة. ماذا حصل لك؟».

«اوه... لا شيء... ابداً». وحاولت الابتسام رغم دقات قلبها المتسارعة.

في نهاية الاسبوع، كانت قد هدأت قليلاً كي تتمكن من الاشراف على حفلة الكوكتيل في حديقة الاسوداد. كانت تشعر بالمرح في هذا اليوم، لكن هناك وجود صاحب العيون الجريئة المقلق. انه يحضر كل استقبالات الشركة. ومنذ البداية شعرت سارا بأنه يحاول ان يتعرف عليها اكثر ويقيم علاقة معها.

ولكن الفتاة لم تكن قد تخلصت بعد من انفعالاتها الأخيرة، وهذه النظرات تزيد من توترها. فدخلت الى المطبخ لتستعلم عنه. والتقت بطريقها بمدبر المنزل فاستوقفته وسألته:

«ادواردو، من هو ذلك الرجل، هناك؟ الذي يتكلم مع المهندس؟».

«انه السيد جاستنودورو، آنستي.

«اهو من سكان لاسو؟».

«لا، أملاك عائلته تقع في فيلا نوفادي. ولكني اعتقد انه يملك علاقات مهمة جداً في المدينة».

شكرته الفتاة مع انها لم تحصل على معلومات هامة. وبعد قليل، انضم الشاب الى مجموعة الضيوف الذين يثرثرون مع برايس وسارا. كانت هذه فرصته لتقبيل يد الفتاة وعيونه تلمع ببريق ماكر. كان يتكلم بانكليزية كاملة، لكن بطريقة تدل على موقف متعجرف مع انه يبدو مثقفاً وخاصة من خلال حديثه مع برايس حول مشاريع البيراميدون. ومع ذلك لم يبد انه يملك نضج رجل نجح بنفسه. من المؤكد انه نجح بفضل علاقات عائلته الثرية. كان يظهر من خلال حديثه انه متحمس جداً لهذه المصفاة. وهذا دعم ثمين بالنسبة للشركة، ومع ذلك، أحست سارا بأن برايس يشعر مثلها بعدم استلطاف نحوه مع انه قبل دعوة جاستنو بعد ان استفاض بالكلام عن وضع عائلته.

«يجب ان تزور أقبية خمورنا، ذات يوم، برفقة مساعدتك الفاتنة». قال جاستنو وهو ينظر بطرف عينه نحو سارا.

«الآنسة مارتندال وانا سنكون سعيدين بتذوق خمركم». اجابه برايس بمرح. «سنذهب غداً لأنه لن يكون لدينا عمل».

حقاً؟ لم تكن الفتاة تعلم بذلك! فابتعدت وتركت الرجلين يتابعان كلامهما. فكرة هذه الزيارة لا تريحها، فهي لا تتحمل نظرات جاستنو اليها المشتعلة بنيران

مخيفة.

جاء برايس قبل ظهر اليوم التالي لاصطحابها. فنسيت كل قلقها عندما رأت وجهه الجذاب وأناقته الدائمة. وحاولت جهدها ان تظهر مرحها. وكانت ترتدي ثوباً باج له جيوب عريضة، وتشد خصرها بحزام رفيع.

نفض غليونه وهو يفتح لها باب السيارة، هذه الحركة يقوم بها كل ما كان على غير طبيعته. وما ان انطلق بسيارته حتى ساد بينهما التحفظ من جديد ككل مرة يبتعدان فيها عن جو العمل.

«اعتقد اننا سنغيب كل النهار وسنتوقف في بورتو، طالما ان المدينة تقع في طريقنا».

«انها فكرة ممتازة». اجابته على أمل يتابع الحديث. ولكن الامر توقف عند هذا الحد، وتشاغلت سارا بتأمل المناظر الرائعة الممتدة امامهما.

وهكذا وصلا الى بورتو بصمت وتنزها بين الاحياء الهادئة الواقعة قرب النهر. ثم زارا آثار المدينة القديمة قبل اتجاههم نحو كروم دورو الممتدة حتى المرفأ. وتوقفا لشرب المرطبات في احد المطاعم. وفي الساعة الثالثة قال لها برايس وهو ينظر الى ساعته.

«لا بد ان استراحة الغداء انتهت الآن في الأقبية».

وكانت سارا قد نسيت تماماً موعدهم في فيلا نوفادي غايا. ولم تكن متحمسة لهذه الزيارة وتفضل عليها هدوء الاسوداد.

سلكا طريق دورو عبر جسر دون لويس. وكانت أقبية

ومصانع المونويل دادورو وبير منستر تقع في بقعة واسعة. وما ان أوقف برايس سيارته حتى ظهر جاستنو لاستقبالهم. وكان يسير نحوهما بخطوات الرجل الواثق من قدرته على النساء. وفكرت سارا بأن المعجبات به كثيرات. ومع انه كان يثبت نظره على المدير وهو يرحب بهما، الا ان سارا كانت تشعر بأنه يحدق بها.

تبعا مضيفهما الى الداخل، ونزلوا درجات خشبية ثم درج حجري يؤدي الى الأقبية. ارتعشت سارا عند دخولها، ولكن هذا ليس فقط بسبب الرطوبة أحست بانقباض ولم تجد شيئاً مثيراً أخاذاً بين هذه الصفوف اللامتناهية من البراميل. كما انه لا يجب عليها ان تنسى ان مضيفهما يشرفهما بهذه الزيارة. فتظاهرت بالاستماع له بانتباه.

كان هناك رجال يرتدون قمصان بيضاء يروحون ويجيئون في الممرات الطويلة حاملين في ايديهم صواني مليئة بالكؤوس.

«هؤلاء الذواقة». شرح لهما جاستنو. «ولكنهم في الواقع، لا يتذوقون الا نادراً. يستعملون ألسنتهم وأحناكهم. لا يبلعون ابداً».

ثم مروا امام عمال يدحرجون امامهم البراميل.

«نحن متشاركون مع بير منستر، شريكنا اللندي الحالي. والبورتو الخاص بمنويل دورو ليس له اي منافس».

فكرت سارا على الفور بالامتياز الخاص الذي يتمتع به آل كارفالو في وادي أموريدا. ومن خلال ما رأته من نشاط في مرفأ لاسو محطة تصدير خمورهم للخارج، فهم من

أول المصدرين الى الخارج. ولكنها لم ترغب بمجادلة مضيفها. الا انها اعترضت بلطف:

«من المؤكد انه يوجد منتجين لديهم نفس المواصفات، أليس كذلك؟».

وكأنه كان يفكر ايضاً بآل كارفالو، فأجابها مضيفها بسخرية:

«أولئك يزرعون عنبهم في أراض تقل خصوبة وجودة عن أراضينا. وهم اغبياء جداً لانهم يعتقدون ان خمورهم تتفوق على خمور الآخرين. ان خمور عائلة دورو التي منها اسمنا، هي الأفضل بالنسبة لنا ولبلاد الخارج».

تظاهرت سارا بالاقتناع. ولكن موقف مضيفها المتعجرف جعلها تفكر بالموضوع من جديد. فمع انه لم يذكر اسماً معيناً، الا انه كان يبدو يلمح الى خمور وادي أموريدا. من المؤكد انه يوجد بين الشركتين منافسة حادة. وباتت سارا مؤكدة ان الدورو هو العدو الذي كلمها عنه السيد كارفالو وابنه.

وهذا ما يفسر لها حماس جاسنتو لفكرة تشييد المصفاة في لاسو: فهكذا يقع المرفأ بين يدي البيراميدون، ويتم ابعاد آل كارفالو عن تجارة البورتو. وهذا ما يترك الساحة خالية امام طموحات الدورو.

أخفضت سارا عينيها وتظاهرت بالتمتع بطعم الخمر. اذا كان آخر احتمال صحيح، فإنها تتعاطف بالطبع مع آل كارفالو. خاصة وان جاسنتو يبدو متعجرفاً واستغلالياً.

وصلوا أخيراً الى اعلى الدرجات المؤدية الى غرفة

منيرة، مخصصة للزوار من الذواقة. وصلها برايس أولاً واستقبله على الفور احد مساعدي جاسنتو. وكانت سارا لا تزال بعيدة في الخلف في ظلام الدرج. فجأة، قطعت ذراع طريقها. وسمعت صوت مضيفها يهمس بأذنها:

«هذه اللوحة المعدنية التي يشير اليها والتي كان الزمن قد جعل من الصعوبة قراءتها وخاصة في هذا النور الخفيف. وكانت سارا مقتنعة ان مضيفها لا يريها عادة لزواره. فحاولت ان تبعد ذراعه عنها.

«اذا كان هذا لا يزعجك». قالت بهدوء. «انا ارغب بالمرور، سيد دورو».

«نادني جاسنتو». اجابها مبتسماً دون ان يبتعد عنها. «احب ان اسمع اسمي من شفاه الجميلات».

كانت سارا تدرك قدرته على اغراء الفتيات. لكنها لا تشعر بأي انجذاب نحوه. بل على العكس، كانت تشعر بالاشمئزاز من لمسة يده لكتفيها.

«الكثيرات من البورتغاليات يملكن شعراً أشقر». همس بأذنها. «لكن شعرك... يشبه الشمس...».

لاحظ برايس انهما لم يتبعاه، فعاد الى الأسفل. فاغتنمت سارا فرصة ظهوره كي تبعد جاسنتو عن طريقها. لم تكن تدري اذا لاحظ مديرها شيئاً. وأحست باحمرار وجنتيها، لكن مضيفها لم يبد عليه اي انفعال.

ابتلعت سارا كأسها دون ان تتذوقه. كانت ترغب فقط بالعودة الى الهواء الطلق. ولم تشعر بالراحة الا عندما أصبحا في الخارج. وبعد ان حيت مضيفها بابتسامة

قصيرة. تركت برايس يشكره ويستأذن منه.

أثناء طريق العودة، لم يلمح برايس لشيء وكأنه لم يلاحظ ما جرى بينها وبين جاستو. وشعرت بالسعادة لعودة الجو الهادىء بينها وبين مديرها.

كانت الشمس قد غابت عندما عادا الى لاسو. وأعجبت الفتاة بمنظر الغياب وتمنت لو تعرف أثر هذا المنظر الجميل على برايس. ونظرت اليه خلسة، وأعجبت بملامحه القاسية التي تبدو رقيقة في الظلام. وأحست بانفعال قوي ملأ قلبها. فأخفضت نظرها وكانت السيارة قد توقفت امام الاسوداد.

مد برايس يده وساعدها في النزول من السيارة. فدق قلبها بسرعة وارتعشت يدها ولم تستطع سوى ان تقول متلعثمة:

«شكراً. كان نهاراً رائعاً».

بدا الارتباك على وجه المدير الذي من طبيعته عدم الثرثرة ولم يجد ما يقوله. احتفظ بيدها للحظات بين يديه، ثم حياها تحية المساء، وابتعد. بينما اسرعت سارا الى غرفتها.

في الايام التالية، كانا يغيبان عن الاسوداد كثيراً لزيارة فاعليات المدينة. وكان برايس قد عقد علاقات جيدة مع التجار وكبار الشخصيات. وكان على سارا ان تساعد برايس بتخطي كل العقبات التي تقف في وجه مشروع المصفاة. ولذلك كانت تحافظ على اناقتها وتتجول مع مديرها في المدينة ويوطدان معرفتهما مع الأهالي. وكانت

الشركة مستعدة لبذل كل شيء في سبيل البلدية العامة، وساهم بمبلغ كبير لترميم بعض الآثار التاريخية، وقدم مساعدات لتوسيع المدرسة الثانوية. وكانت سارا ترافقه في كل هذه المناسبات. وتلقيا الكثير من الدعوات ودخلا الى منازل كثيرة في لاسو. ولم تكن سارا معتادة على المجاملات والثرثرة. وكان من حسن حظها ان بعض مضيفيهم كانوا يجهلون الانكليزية، وبالمقابل كان برايس يتكلم البورتغالية بلسان طلق. وقد علمت سارا انه تعلمها في البرازيل حيث كان يعمل لبضعة سنوات في احد فروع البيراميدون.

شيئاً فشيئاً، أخذت الفتاة تهوى البورتغال وأهله وطبيعته. وأصبحت ترى ان حياتها في سوثمبتون كانت رتيبة، ولم تعد تثير في نفسها اية ذكريات. بينما كلما تأملت منظراً، او سارت مع مديرها في شوارع المدينة تحس بقلبها يمتلأ بفرح غريب. الا ان قوس قزح سمائها تحطم ذات يوم.

كان يجب على برايس ان يمر على مكتبه في المرفأ ليحضر بعض الوثائق الهامة، فرافقته سارا ولم تكن قد زارت مكاتب الشركة الواقعة في المرفأ منذ مدة طويلة. فتفاجأت بالتغيرات التي استحدثت هناك. وكانت البيراميدون قد أحرزت في بضعة اسابيع نجاحاً ملموساً. فكل المؤسسات الصغيرة التي كانت امام المرفأ اختفت الآن. وعلى طول الأرصفة تشعر بوجود الشركة النفطية.

حاول برايس ان يقضي على مخاوف الفتاة عندما غادرا

المكتب وهو يحمل مجموعة من الأوراق ويهزها بمرح.

«هذا آخر كسب يبقى امامنا على المرفأ!».

ثم مد يده بشكل دائري وأضاف: «كل ما ترينه امامك أصبح ينتمي للبيراميدون. لم يبق سوى شركة تصدير البورتو في آخر الرصيف ترفض البيع. ولكننا لن نسمح لهم بإعاقتنا».

أحست سارا بالأرض تمتد تحتها عندما لمحت سفن النقل التابعة للكارفالو. ولاحظ برايس شحوبها المفاجيء لأنه سألها:

«ما بك؟ اهذا الخبر لا يسعدك؟».

«اوه بلى، انا سعيدة جداً». اجابته محاولة اظهار حماسها.

ثم أضافت بمرح مصطنع:

«لم يكن يجب علي ان اشرب كثيراً من هذه الخمور المحلية القوية» لكن برايس نظر اليها بشك. ولحسن الحظ، تعثرت وهي تركب السيارة، وأملت ان يكون مديرها عرف ذلك لاكثارها من الشرب.

لم تتفاجأ سارا عندما ارسل السيد كارفالو بطلبها في اليوم التالي. واستطاع سائقه ان يجدها بنفس الطريقة عندما كانت تتجول في شوارع لاسو. فتبعته الى سيارته بدون اي اعتراض.

كان السيد كارفالو يروح ويجيء في مكتبه عندما أدخلوها. فاستقبلها بترحيب كعادته. لكنه كان يبدو قلقاً بشأن تقدم نشاط البيراميدون. استجوب الفتاة وعيونه مثبتة على الخريطة. وكان مثلها مذهولاً امام التقدم الذي أحرزته الشركة النفطية في المرفأ.

صمت للحظات ثم أشار الى الموقع الذي ستقوم عليه المصفاة والى الأراضي الواسعة التي أشار برايس اليها في الأمس.

«في هذه المنطقة سيبذل برايس تايلور جهوده حالياً».

ثم تأمل الفتاة، وأمرها بحزم:

«من الآن وصاعداً، آنسة مارتندال، ستقدمين لنا تقارير اسبوعية».

في طريق العودة، كانت سارا تشعر بالاضطراب وهي تفكر بالاتجاه الذي أخذته الأحداث. لم تكن ابداً تعتقد ان برايس سيحرز كل هذا النجاح، كل آماله كانت تبدو ضعيفة في البداية. ومع ذلك، تمكن ببطء مدروس من تخطي حواجز كثيرة. وتذكرت فرحة عندما اشترى الاسوداد وأثاثه الفاخر. كانت تجهل حتى الآن انه بالنسبة للأعمال اكثر عناداً من السيد كارفالو ونفسه. لو كانت تعلم ان برايس سيصل الى هذا البعد، لما كانت قبلت ابداً بالعمل الى جانب آل كارفالو».

الايام التالية كانت شاقة بالنسبة للفتاة، فحاولت جهدها ان تخفي اضطرابها. لكنها كانت دائماً تشعر بنظرات مديرها الذي يراقبها مفكراً. وعندما كانت ترافقه الى لاسو، كانت ترعبها فكرة لقاء سائق كارفالو. كان يجب عليها ان تعلم بأن آل كارفالو حذورن جداً. ولم تكن قد اتفقت معهم على موعد محدد لزياراتها لهم. اذاً كانت

دائماً على اهبة الاستعداد.

بعد ظهر احد الايام، وبينما هي تتجول في الشارع، أحست بيد تمسك ذراعها. وبصوت يهمس بأذنها.

«نهارك سعيد، آنسة مارتندال. ايمكنني ان أوصلك الى مكان ما؟».

التفتت الى الخلف بسرعة. والتقت بنظرات جاستودورو الوقحة. فابتعدت عنه، ولاحظت انه يقف امام سيارة سبور فخمة جداً خضراء. وكان جاستو بأناقته المعتادة. لكن سارا لم تكن لتتأثر ابداً لا بشخصيته ولا بسيارته.

«لا ضرورة لذلك، شكراً لك». اجابته بجفاف. «أفضل السير على ركوب سيارتك».

«اذاً، الزهرة الناعمة لديها أشواك». قال مبتسماً بسخرية.

«لكننا سنجد وسيلة لازالتها».

«دعني، سيد دورو». قالت له بحدة.

ورأت ابتسامته الشاحبة تحت تأثير غضبه. ثم ركب سيارته وانطلق مسرعاً وكأنه يضمر لها الشر. وأدركت الفتاة انها لم تتخلص منه نهائياً.

دعا برايس تايلور بعض الشخصيات المهمة لزيارة موقع المصفاة وأقام على شرفهم حفلة استقبال في الاسوداد أشرفت سارا على تنظيمها. وحولت تحضيرات المنزل الى خلية حقيقية. البستانيون كانوا منهمكين حول شتول الأزهار. والخدم يقومون بتنظيف المنزل. واستدعى برايس

اوركسترا مشهورة جداً لتضيف جواً حيوياً على الاحتفال.

في هذا المساء، اجتاح الفتاة قلق شديد. وكان يجب عليها اخفائه. ففي الايام الأخيرة، كان لديها اسباب كثيرة للاحساس بالفرح والمرارة بنفس الوقت. وارتدت لهذه المناسبة ثوباً أبيض مكشوف الصدر. وأحاطت عنقها بعقد ذهبي. وجمعت شعرها الذي أصبح الآن طويلاً بشكل مرتفع.

كانت قد نزلت عندما بدأ المدعوون بالوصول. وكان برايس تايلور مميزاً في بدلته السوداء الأنيقة وقد خرج لاستقبالهم بينما كانت سارا تنتظر في المدخل.

وصلت مجموعة من الرجال الرفيعي المستوى وكلهم يرتدون بدلات تدل على نجاحهم. سلموا على الفتاة بحرارة وأبدوا اعجابهم بالديكور الذي يحيط بهم. ثم ويكل بساطة انضموا الى بقية المدعوين.

في الصالون الواسع المضاء بالثريات الكبيرة. كان الموسيقيون يرتدون بدلات ملونة ويعزفون اجمل الألحان. اقتربت سارا من البوفيه لتتأكد من ان الجميع يأكلون ويشربون، ثم تجولت بين الغرف وهي تشعر بأنها محط انظار الجميع. وأدركت ببعض الفرح ان برايس ايضاً لا يرفع نظره عنها.

ولمحت جانتودورو اكثر من مرة. كان هو ايضاً يراقبها بنظراته الوقحة. ولم تجد صعوبة في تجنبه لأنها كانت مشغولة ببقية المدعوين. وبالطبع، كانت تعطي اكثر انتباهها لممثلي البيراميدون الذين حضروا لابداء

ملاحظاتهم حول تطور سير العمل في المشروع. وابدوا رغبتهم بشرب كأس معها فانضمت اليهم وابتسمت لمزاحهم ومرحهم.

كانوا راضين جداً عن سير العمل ولم يخفوا اعجابهم بسياسة برايس.

اقترب احدهم من سارا مبتسماً وقال لبرايس ممازحاً:

«لا أشك بأنك تدين بجزء كبير من نجاحك لمساعدتك الرائعة، أليس كذلك، برايس».

الاطراء جعل وجهها يحمر. وابتسم المدير وهو ينظر اليها بطرف عينه ثم رفع كأسه. لكن لم يكن هناك احد ينتظر جواباً منه. كان كل اهتمامهم منصباً على المضيفة الشابة. وتلقت سارا اطراءات اخرى قبل ان تبتعد عنهم وتنضم لغيرهم.

فيما بعد، أخذت سارا تراقب برايس من بعيد وهو محاط برؤسائه. كان يثرثر ويمزح بمرح. فأحست الفتاة بألم في قلبها لم تعرف سببه. اهو بسبب الضجيج او الأضواء او جو النجاح والطموح؟ كان الجو يناسب تفاؤل البيراميدون على عكس سارا. فالمدير لن يتوصل ابداً لانشاء مصفاته في لاسو. هي وحدها تعلم ذلك ولا يمكنها القيام بشيء. اذا أخبرته بوجود مرسوم وصك بشأن المرفأ، لفهم على الفور انها وخلال هذه الأشهر الطويلة، كانت تتجسس عليه لصالح آل كارفالو. وفكرة ان يكتشف خيانتها ترعبها جداً. تأملت ابتسامته المشرقة من جديد ثم أدارت وجهها بسرعة.

امتدت الحفلة حتى منتصف الليل وكان آخر المغادرين ممثلوا البيراميدون الذين استأذنوا من مضيفهم والتفتوا نحو سارا:

«استمري بالعمل الجيد، آنسة مارتندال». ورحلوا على الفور على بورتو حيث تنتظرهم طائرتهم الخاصة.

دخلت الفتاة ووقفت امام النافذة بحثاً عن بعض الهدوء الذي تفتقده في نفسها المضطربة. شيئاً فشيئاً، خف اضطرابها وهي تستمع لزقزقة عصفور ليلي. وفجأة أحست بخطوات خلفها جعلتها تنتفض. ورغم الظلام، تعرفت على وجه برايس الذي كانت تعتقد انه عاد ايضاً الى الفندق في لاسو.

ظل صامتاً للحظات، ثم تنهد أخيراً.

«يا لها من أمسية!».

«نعم، بالفعل». اجابته بصوت مرتعش.

«كان رؤسائي متأثرين جداً بمساعدتي».

لم تجبه سارا على هذا الاطراء. وعاد الصمت بينهما من جديد.

فأحست الفتاة بالاضطراب من جديد، فقالت متلعثمة:

«أصبح الوقت متأخراً، و...».

وهمت بالابتعاد، لكن برايس ضمها اليه بسرعة. فبادلته قبلاته الحارة التي ضمنها أشواقاً كبيرة لم تكن تشك الفتاة بوجودها. ظلت حبيسة بين ذراعيه القويتين وهي تحس بأنها تشتعل من ملامسة جسده حتى نسيت كل شيء آخر. وانتبهت الى ما تفعله عندما رفعت يديها لتعانقه. فابتعدت

عنه ورتبت تسريحة شعرها بيد مرتجفة.

«لم يكن يجب عليك ان تتصرف هكذا...». تمتمت بخجل.

«حقاً؟». ونظر اليها بابتسامة حنونة. ثم تركها واختفى.

بعد دقائق قليلة، سمعت هدير محرك سيارته وهي تبتعد في سكون الليل.

بعد زيارة ممثلي البيراميدون، بدأ برايس تايلور يتصل بأصحاب الأراضي المجاورة لموقع المصفاة، والذين لا يزالون يرفضون بيعها. وبعد عدة مفاوضات استسلموا وباعوا.

ولحسن الحظ، لم تره سارا كثيراً في الايام الأخيرة. وكانت بالكاد تنظر الى وجهه بعد عناقهما الحار في تلك الليلة. واستمرت بإرسال التقارير للسيد كارفالو. وكانت كلها غير مشجعة بالنسبة له كما بالنسبة لها. وكانت تأمل في ان يصطدم برايس بعائق قوي كي يتخلى عن مشروع المصفاة نهائياً. وكانت تكره لقاءاتها السرية مع سائق كارفالو. وذات يوم، ما ان ركبت سيارته السوداء حتى لمحت في المرآة الأمامية سيارة سبور خضراء تتبعهما. لكنها عندما التفتت لم ترها. فتنهدت وشعرت براحة كبيرة. لكن توترها عاد بسرعة. كانت تشعر انها مراقبة لكنها لا ترى شيئاً.

ولم تكن مقابلتها للسيد كارفالو سهلة هذه المرة. لقد أرهقها بالاسئلة والملاحظات. ودهشت عندما رأت ان هذا البورتغالي يبتسم فجأة ويقول:

«الأراضي الشاسعة الواقعة شرقاً هي لعائلتين من النبلاء. الريبيارو والسيرفارا. وهما معروفتان بوطنيتهما وحبهما لأرضهما، وكرههما للمنشآت الغريبة. انا متأكد انهما سيشكلان حاجزاً قوياً امام تقدم البيراميدون».

تمنت سارا الا يكون مخطئاً. وفي طريق العودة، راقبت الطريق جيداً. لكنها لم تر شيئاً. فاعتقدت انها كانت فريسة لمخيلتها الواسعة.

بالرغم من نجاح برايس في اكتساب تشجيع أهالي لاسو، الا ان البيراميدون كانت تسعى للحفاظ على صورتها الدائمة. ومع اقتراب الخريف، نظم برايس حفل استقبال جديد. وكانت سارا التي تهرب دائماً من نظرات برايس مضطرة لمواجهتها اليوم لأن برايس كان يصر دائماً على وجودها الى جانبه عند وصول مدعويه.

نزلت سارا من غرفتها متأخرة، وكان برايس يقف امام باب المدخل. فنظر اليها نظرة جعلتها ترتعش وتشعر بالذنب. فحاولت جهدها ان ترسم ابتسامة على شفتيها وهي تقف الى جانبه. وابتعدت عنه على الفور عند وصول كل المدعوين.

وكرست كل انتباهها للضيوف ثم دخلت الى غرفة المكتب لترتاح قليلاً. وبينما هي واقفة امام النافذة، أحست بيد تداعب ذراعها.

«مساء الخير، ايتها الزهرة الانكليزية الجميلة».

التفتت سارا، وشعرت بالاشمئزاز عندما رأت جاستودورو يبتسم لها بسخرية.

«ابتعد عن طريقي، سيد دورو، انا مشغولة».

«اوه، هيا». اجابها بابتسامة عريضة. «اهكذا تخاطبين صديقاً؟».

لاحظت سارا تصرفه الغريب هذا المساء، ورأت المكر في عيونه. فاضطربت وحذرتها غريزتها بالخطر.

«ولكن أخيراً، ماذا تريد؟».

«اترغبين حقاً بمعرفة ما أريد؟». سألها بسخرية.

ازداد قلق الفتاة، ولما لم تجبه أضاف وهو يختار كلماته باعتناء.

«وادي الأموريدا جميل جداً في هذه الفترة من السنة، أليس كذلك؟».

أحست سارا بالدم يتجمد في عروقها. ومع ذلك حاولت تمالك نفسها، فأجابته باحتقار:

«تكلم بشكل مباشر، هكذا على الأقل نضيع وقتاً أقل».

«أأنت مستعجلة؟». سألها متظاهراً بالبراءة. «لا اعتقد ذلك».

ثم أشعل سيجارة ونفث دخانها بتمهل وأضاف:

«انت تقومين بنزهة جميلة الى ذلك الوادي، كل اسبوع...».

أحست سارا بأنها ستنهار. فاستندت على ظهر الكنبة.

«اذاً، كانت سيارتك التي رأيتها، ذلك اليوم». قالت بصوت ضعيف، وفهمت انها ستخسر امامه. «كنت تتبعنا».

«من بعيد لا اعرف الى اين تذهبين». اعترف بابتسامة

خفيفة.

«صادف انني رأيت لقائك مع سائق آل كارفالو».

وسار قليلاً في الغرفة يدخن سيجارته. ثم قال فجأة:

«اتساءل ماذا سيظن مديرك اذا علم ان مساعدته الوفية تعلم ايضاً لحساب خصمه».

«لن تجرؤ». صرخت بيأس.

فنظر جاستو اليها وقد أشرقت عيونه بالمكر:

«انا مستعد للسكوت. بمعنى آخر، لنقل انني... أطلب ثمناً».

كانت الفتاة قد انهارت وتزاحمت افكار عديدة في رأسها.

«كيف... كيف علمت بشأني؟». سألته متلعثمة.

«بكل سهولة. فشقيق جانيورو سائق كارفالو يعمل في فيلا نوفادي غايا، في الأقبية التابعة لعائلتي. لديه خمسة اطفال وامرأة يعجز عن اعالتهم... فحذرت جانيورو بأن اخيه معرض لفقدان عمله اذا لم يكشف لي عن اسباب زيارتك لمنزل كارفالو.

«انت سافل!».

«انت تفكرين بذلك الآن». واقترب منها اكثر. «لكنك ستغيرين رأيك عندما تتعرفين علي اكثر».

«انا لا استلطف المتطفلين».

«حقاً؟». ولمعت عيونه بالغضب، فأطبق قبضتيه عليها.

«على كل حال، اعتقد انك ستتعلمين كيف تكوني لطيفة معي انت لا ترغبين ان يعرف برايس تايلور بتعاونك

مع آل كارفالو، أليس كذلك؟».

لم يكن لديها خيارآخر، فلم تقاوم عناقه، لكنها ظلت كالحجر، وارتعشت باشمئزاز عندما لامست شفتيه عنقها. ولكن عندما لامست شفتاه شفتيها لم تعد تحتمل، فابتعدت عنه وركضت نحو الباب. وعندما خرج بعد قليل، لاحظت ابتسامة النصر على شفتيه. لحسن الحظ لن ينتبه احد لوجهها الشاحب.

- ٧ -

وظلت تنتظر رحيل الضيوف بفارغ الصبر. وحاولت جهدها كي لا يلاحظ مديرها توترها. وعندما دخلت غرفتها أخيراً، لم تتمكن من النوم. ماذا ستفعل الآن وجاستو يعرف سرها. لن يصمت الا بشرط واحد. وأحست بالغثيان عندما تذكرت عناقه. لكن خوفها من اكتشاف برايس لخداعها كان اكبر. ونامت على أمل ان يواجه برايس معارضة قوية، فهكذا لن يعلم حقيقة دورها. ومن اجل المحافظة على سرها وعلى احترام برايس لها، هي مستعدة للخضوع لرغبات جاستو الحقير.

بعد هذه السهرة، لم تبتعد سارا ابداً عن المنزل، وعهدت الى احد الخدم بإيداع رسائلها في البريد. ولم يكن برايس يقضي في مكتبه سوى ساعة او ساعتين فقط.

www.elromancia.com

وبعد تلك القبلات التي تبادلانها مرة واحدة، ازدادت سماكة الجدار الذي كان يفصله عن مساعدته. وكانت سارا تشعر دائماً انه يراقبها خلسة. وكانت تتمنى انتهاء هذه الحفلات، لكن كانت هذه وسيلة برايس الوحيدة لتحقيق هدفه. ومن بين المدعوين، كانت عائلة ريبيارو التي كلمها عنها السيد كارفالو. وعائلة جاستتودورو ايضاً. لم تكن سارا ترغب بحضور هذه الحفلة. لكنها خشيت ان تثير شكوك برايس. فموقفها حرج. هي مضطرة للعمل على انجاح هدف سيدمرها: انتصار برايس تايلور.

دق قلبها بسرعة عندما لمحت جاستتو. وقبل يدها طويلاً وهو ينقل لها رسالة ساخرة بنظراته. فخافت ان يلاحظ مديرها تصرفه الغريب. وتظاهرت بالابتسام. ابتعد جاستتو نحو الصالون الكبير، لكنها كانت تعلم بأنه ينتظر بفارغ الصبر ان ينفرد بها. وطوال السهرة كانت تشعر بنظراته دون ان يحاول الاقتراب منها، ففهمت بيأس انه يتسلى بالتلاعب بها كما تفعل الهرة مع الفأرة.

وفي الساعة الحادية عشرة، بدأت الفتاة تشعر بالاطمئنان لأنه لم يحاول ابتزازها هذه المرة، لكن أملها خاب عندما اقترب منها احد الخدم وبدد أملها:

«اعذريني آنسة. لكن السيد جاستتودورو طلب مني ان احمل لك هذه الرسالة».

فتحت سارا الورقة وجحظت عيونها عندما قرأتها: «انا انتظرك على الشاطىء بعد خمسة دقائق».

شحب وجهها وخرجت من الصالون بسرعة. جاستتو ينتظرها. اذاً كانت تهديداته جدية. اذا لم تطعه فوراً فهو سيكشف سرها لمديرها. وخرجت من الباب الخلفي متخفية، ونزلت الدرج الحجري المؤدي الى الشاطىء رغم الظلام. وما ان وطأت قدميها رمال الشاطىء حتى سمعت صوته الساخر:

«اذاً زهرتنا الجميلة ترغب بالبقاء بريئة في عيون مديرها!».

كم تكره سخريته! ارتعشت عندما رأته يقترب منها.

«استلمت رسالتك فجئت». قالت بهدوء.

«العكس كان سيدهشني». اجاب بمكر وضمها اليه.

«كنت اتمنى ان اقول لك قبلاً... بأنك كنت رائعة هذا المساء...».

أحست سارا برائحة الكحول تفوح من فمه وهو يبحث عن شفتيها. فلم تستطع التحمل اكثر وصفعته. ففقد توازنه، واستغلت الفرصة وأسرعت بتسلق الدرجات بسرعة وهي ترفع اسفل ثوبها كي لا يؤخرها عن الركض. لكنه تبعها وكانت تسمع ضحكاته القبيحة خلفها. أصبح الآن قريباً. وكان ايضاً يلهث. كادت سارا تقع عدة مرات، وبدأت تشعر بأن ساقيها لم تعودا قادرتين على حملها. ولم يعد يفصل بينها وبين ملاحقها سوى خطوة واحدة وهمت بالاستسلام. وباللحظة الذي امسك فيها ذراعها. ارتفع صوت في الظلام جعلهما ينتفضان.

«سيد دورو!» رفعت سارا رأسها فرأت برايس تايلور الذي يوجه كلامه لجاستتو بهدوء:

«مهما كان بينك وبين مساعدتي، فانا ارغب ببعض الايضاحات».

«هذه الأشياء يصعب شرحها بالكلمات، سيد تايلور». اجابه جاسنتو بتعجرف ساخر. «بإمكانك ان تسألها، ستقول لك بأنها سعيدة ب... تنشق الهواء برفقتي».

لاحظت سارا تسارع انفاس برايس.

«هل هذا صحيح، آنسة مارتندال؟».

شد جاسنتو قبضته على ذراعها. ففهمت انه قد ينفذ تهديده، فأبعدت يده عنها وأجابت متلعثمة:

«أفضل ان اكون معه في اي مكان!». وهربت بسرعة الى المنزل واختبأت بسرعة في غرفتها تحاول استعادة انفاسها. لقد انتهى امرها، لا بد ان جاسنتو كشف الحقيقة كلها امام برايس. وانهمرت دموعها. الآن برايس يعرف كل شيء ولن يغفر لها ابداً.

نهضت سارا في اليوم التالي، واستعدت كعادتها. ونزلت الى غرفة الطعام وهي شاحبة تنتظر ان تطرد من عملها بين لحظة وأخرى. تناولت فطورها مع انها لم تكن جائعة. ولكن يجب ان تقتل الوقت بانتظار وصول برايس.

أصبحت الساعة التاسعة ولم يصل برايس بعد. فدخلت غرفة المكتب وعلى الفور لفت نظرها ملاحظة على مكتبها. انها بخط برايس الذي يقول لها بأنه لا يعرف متى سيصل الى المكتب، وهو يقوم بمفاوضات مع آل ريبيارو. وقد ترك لها لائحة طويلة من المهام التي يجب ان تقوم بها أثناء غيابه. قرأت الرسالة اكثر من مرة وهي تتساءل متى كتبها. قبل الاستقبال بالأمس، ام بعده؟ وبعد تفكير طويل، قررت ان تنتظر وصول برايس. على كل حال، لديها ما تشغل نفسها به، فلماذا تبقى ساهمة. وجلست خلف مكتبها وانغمست في عملها ولم تنتهي منه سوى الساعة السابعة مساء، فتناولت عشاءها ونامت. هذه الليلة مرت بسرعة. واستيقظت سارا على سؤال يرن في أذنيها: هل سيأتي برايس الى مكتبه هذا اليوم؟ اجتاحها خوف كبير، وأدركت انها غير قادرة على مواجهته. بالأمس، كانت لا تزال تحت تأثير الصدمة ومستعدة لكل شيء. اما الآن وبعد ان استعادت قواها ووضوح رؤياها، فإنها ترى الحقيقة مرة وصعبة. ويجب عليها ان تستعد نفسياً قبل الدخول الى المكتب.

نهضت على مهل، واستحمت وارتدت ملابسها. وبعد ان شربت فنجاناً من القهوة، خرجت من المنزل. كانت بحاجة لتنشق الهواء النقي. أحست في الخارج ايضاً بمشاعر اليأس، وأدركت انها تكذب على نفسها وتبحث عن عذر للتهرب.

تلألأت الدموع في عيونها، فتوقفت امام الدرج الحجري وحاولت تمالك نفسها. وأخذت تتأمل البحر الواسع. في المرفأ، لاحظت ولأول مرة مركباً أبيضاً كبيراً راسياً قرب بقية المراكب التي اعتادت رؤيتها يومياً.

كانت تنظر اليه بحزن عندما سمعت صوتاً خلفها.

«انها «سيدة بيراميدون»، احدى يخوت الشركة».

التفتت الفتاة قرأت برايس يقف قريباً منها ويتأمل البحر

بهدوء.

«طلبت السيني دي ناج، مركباً أصغر من هذا. ولكني علمت انها ابحرت في مهمة الى خليج المكسيك».

تأملت سارا ملامحه التي أصبحت أليفة لديها، وعيونه التي تلمع ببريق غريب. فجف حلقها من الانفعال. يبدو انه لم يعرف شيئاً. وأخيراً نظر اليها وأضاف بنفس الهدوء:

«اتمنى ان تكوني تحبين البحر. فغداً سنرفع المرساة نحو استوريل. انا مستعد لاستعمال كل الطرق والوسائل كي اتغلب على آخر عقبة في طريقي. السيرفارا. انصحك بأن تحملي ملابسك الأكثر اثارة معك».

برايس يتصرف وكأن شيئاً لم يحدث، وكأنها لا تزال مساعدته. ماذا جرى بينه وبين جاستو؟ أيعرف مديرها الحقيقة؟ وفجأة طرح سؤال آخر نفسه عليها. لقد تكلم برايس عن السيرفارا كأنها آخر عقبة في طريقه. هذا يعني ان الريبيارو قد استسلموا. في هذه الحالة، يجب ان تلتقي بالسيد كارفالو وتطلب مساعدته، هو وسارا وحدهما يعلمان ان المرفأ لا يمكن ان ينتمي للشركة النفطية.

«السيرفارا؟». سألته بصوت حاولت ان يكون طبيعياً. سمعت انهم يقيمون في استوريل».

«هذا صحيح. انهم يقيمون حالياً في منزل لهم في ضواحي لاسو. ولقد قبلوا الانضمام الينا على متن «سيدة البيراميدون». اعتقد ان جواكن سيرفارا ينوي ان يزورنا مدينته. ستدم الرحلة اربعة ايام تقريباً.

تزاحمت الأفكار في رأس الفتاة. اليوم موعدها مع

السيد كارفالو اليوم، يجب ان تراه اكثر من اي وقت آخر.

«سأقوم بكل ما يلزم». اجابته بهدوء مصطنع. «اتسمح لي بالذهاب الى المدينة بعد الظهر لأشتري بعض الحاجيات قبل الانطلاق».

«بالتأكيد، سأوصلك بنفسي».

«اوه، لا تزعج نفسك، ارجوك». قالت متلعثمة. «سيوصلني احد التقنين».

«هذا لا يزعجني. انا ايضاً يجب ان أذهب الى المدينة». ثم امسك ذراعها وعادا معاً نحو المنزل. ودخلت سارا الى غرفتها لتقوم بالتحضير للسفر.

وفي وقت الغداء، لم تجرؤ على دخول غرفة الطعام كي لا تلتقي ببرايس، وطلبت غدائها الى غرفتها. وتمنت ان ينس المدير ان ينتظرها. لكنها وجدته واقفاً امام سيارته عندما نظرت من النافذة. فاستسلمت ونزلت. وكانت الطريق الى لاسو تبدو وكأنها لن تنته.

«اين تريدين النزول؟». سألها عندما وصلا الى المدينة.

«اوه، اتركني في الوسط التجاري». اجابته بصوت مرتجف.

توقف برايس في الشارع التجاري الذي أشارت اليه الفتاة.

«سأجدك هنا في الساعة الخامسة». قال لها قبل ان يبتعد.

تجولت سارا في الشارع، وبعد عشرة دقائق ظهر سائق

كارفالو. فنظرت بحذر حولها قبل ان تتبعه. ولم تشر لخيانة السائق الذي اخفض نظره وهو يفتح باب السيارة لها وكأنه يشعر بالعار.

- ٨ -

فور وصولها الى منزل آل كارفالو، اتجهت الى غرفة السيد الذي استقبل نبأ استسلام الريبيارو بقلق عميق.

«من الآن وصاعداً. الامر كله متعلق بين يدي السيرفارا. المال لا يهمهم، فهم أغنياء جداً. اذا رفضوا البيع، فالشركة تضطر للتخلي عن مشروعها، لأنها لا تستطيع ان تتخلى عن أراضيهم».

«افرض إنهم قبلوا». سألته سارا بيأس وقلق.

«في هذه الحالة، عائلتي وانا سنبرز الصك والمرسوم الذي يخص المرفأ».

«هذا ليس عدلاً. فبرايس قضى أشهراً طويلة بالعمل

www.elmanara.com

على هذا المشروع».

«هذه المجازفة لا يمكن تجنبها. على كل حال، لم يكن احد يعتقد بأن برايس سيقترب بهذه السرعة من تحقيق هدفه».

«لا بد من وجود حل آخر».

«اخشى ان لا، آنسة مارتندال». ومع انه ينظر الى هذا الحل بأسف، أضاف بقسوة في صوته: «ضروري بالنسبة لانتاجنا ان نحتفظ بالمرفأ، ولا شيء يمكنه اقناعنا بالتخلي عنه». ولاحظ يأس الفتاة، فنظر اليها بمودة وأضاف مشجعاً: «لم نفقد كل شيء حتى الآن. وعائلة سيرفارا قوية. ترغب بإقامة علاقات مع الأجانب، لكنها تبقى متعلقة بأراضيها، واذا ظلت معارضة لمشروع المصفاة، فإن البيراميدون سضطر للتراجع حتماً».

هزت سارا رأسها بحزن. ففي كلتي الحالتين، سيعرف برايس الفشل، وستكون هي مسؤولة عن جزء كبير من فشله هذا.

ما ان نزلت من سيارة آل كارفالو، حتى أسرعت نحو المتاجر واشترت بعض الحاجيات وعادت الى الشارع حيث التقاها مديرها بعد نصف ساعة تقريباً.

«يبدو ان فترة بعد الظهر كانت مليئة بالنسبة لك». قال وهو ينظر الى الأكياس والعلب الكثيرة التي تحملها.

أخذ قلب الفتاة يدق بسرعة. ان كلامه كان يحمل اكثر من معنى. أيشك بالطريقة التي قضت فيها وقتها؟ فقط لو انها تعلم! قطعا الطريق كله بصمت. كانت سارا متوترة لدرجة

لا تقوى معها. اما برايس، فكان يدخن غليونه بهدوء، وكان من الصعب تبين حقيقة ملامحه.

توجهت سارا الى اليخت الفخم برفقة برايس. وكانت تأمل في ان يطرأ شيء ما يجبرهم على الغاء هذه الرحلة. لكن الشمس كانت مشرقة في سماء الخريف والبحر هادئاً.

كانت نخبة أهالي لاسو مدعوة. وآل سيرفارا المهمين جداً بالنسبة للشركة النفطية نزلا في الجناح الرئيسي في الطابق العلوي. بينما شغل الآخرون الطابق السفلي. وكانت غرفة سارا مجاورة لغرفة برايس.

رافقهم في هذه الرحلة الطباخ وزوجته ليشرفا على الطعام في مطبخ اليخت. وأحست سارا بالراحة بوجودهما. فرغم شهرتهما، بقيا بسيطين. وهكذا يمكنها اللجوء اليهم والهرب لبعض الوقت من رسميات العمل وشكلياته.

وكان فريق البحارة من اصل بريطاني، والقبطان استقبل الجميع بالترحيب وبابتسامته الرائعة التي تعلو وجهه الذي لوحته شمس البحر.

اتجه اليخت نحو الجنوب. ووقفت سارا تتأمل الساحل. قد يتم انشاء مصفاة للنفط في هذه المنطقة، مع ان رأس عائلة سيرفارا معروف بدفاعه عن طبيعة وبيئة بلاده. فاذا نجح في جعل الميزان يميل لصالحه، فان مخاوف سارا تنتهي أخيراً، ولا يعرف برايس تايلور بوجود شك بشأن المرفأ. أحست الفتاة بانقباض أليم في قلبها وهي تفكر بالرجل الذي عملت معه طوال هذه الشهور

الماضية، كيف يمكنها المشاركة بتدمير أمله بمساعدتها لآل كارفالو؟ على الأقل، آل سيرفارا سيوفران عليها هذا الشعور. يبقى ان يقاوموا امام قدرة برايس على الاقناع.

مع حلول الظلام، أصبح المحيط اكثر هدوءاً. واليخت يمخر المياه بكل اطمئنان. تمنت الفتاة وهي في غرفتها ان تصاب بدوار البحر كي تتهرب من العشاء. وللاسف، ظلت قوية صامدة..

فاستعدت للسهرة، واتبعت نصيحة برايس واهتمت بأناقتها. اختارت ثوباً من الموسلين الاسود الذي تعلو صدره أزهار ملونة. وسرحت شعرها الذي أصبح طويلاً وتركته يسترسل على ظهرها العاري. وما ان أصبحت جاهزة حتى انضمت الى الآخرين حول البار. ما ان رآها برايس حتى جاء للقائها. واخترقت آل سيرفار. وبعد قليل، اعلن العشاء. فاتجه الجميع الى غرفة الطعام المنارة بذوق رفيع ومجهزة بطاولات مستديرة تتسع كل منها لثمانية اشخاص. السيرفارا والمدير ومساعدته جلسوا بالطبع حول نفس الطاولة. وكان جواكن سيرفارا عجوزاً سميناً لكنه لطيف جداً.

راقبته سارا طوال وقت العشاء. ومع ان رجال الاعمال مستغلون تأثير سحر زوجاتهم، الا ان هذا البورتغالي كان يشذعن عن القاعدة. كان واثقاً جداً من قدرته الشخصية ولا يلجأ لزوجته ريتا في القرارت المهمة.

ولم يحاول برايس تايلور ان يؤثر عليهم بالتغني بميزات هذا اليخت الملقب بسيدة البيراميدون. فامتلاك

مثله من ضمن امكانيات آل سيرفارا. لكنه استعمل سحره الخاص ولباقته في التأثير على مدعويه.

كانت سارا تنظر بانتباه الى جواكن سيرفارا، ولاحظت انه يتحدث عن بلده بكل فخر واعتزاز. ومع انهم لم يتطرؤا لموضوع المصفاة، الا انها أحست بأنه سيبقى معارضاً للمشروع طالما انه مغرم بالجمال والهدوء.

نقل البورتغالي فيما بعد اهتمامه نحو سارا. يبدو انها أعجبته. وبينما كان يثرثر معها، برهن رغم سنه عن ميله للمرح والغزليات. بالاضافة لهمه الأول في اظهار مميزات وطنه.

«ماذا رأيت في بلدنا حتى الآن آنسة مارتندال؟».

«ليس الكثير». اجابته سارا مبتسمة. «كنت دائم مشغولة جداً».

«سنعالج هذا الامر. لا يمكن ان تكوني في البورتغا دون ان تزوري سنترا. سأصطحبك اليها بنفسي».

بعد العشاء، صعد الجميع الى المتن الاعلى حيـ أعدت حلبة للرقص أضيئت بأنوار متعددة الألوان وخافتة.

كان فارس سارا هو برايس طبعاً. لم يكن راقصاً بارعاً وهي ايضاً كانت قليلة التجربة في هذا المجال. ولكنهم لـ يجدوا صعوبة في تتبع الألحان الموسيقية الرائعة.

كان يضمها اليه. وكانت سارا تحس احياناً بخده يلامس شعرها وترغب بشوق كبير ان تسند رأسها على صدره. لكن ثقل ما تحمله في قلبها كان يمنعها ويسلبها كل سكينتها.

كان الوقت متأخراً عندما دخل المدعوون الى غرفهم. واتجهت سارا نحو غرفتها برفقة برايس. اي طبيعية، طالما انهما جيران؟.

قبل ان يفترقا، توقفا لحظة في الظلام، والتقت نظراتهما، فأسرع برايس وضمها الى صدره وتنهد بعمق ثم انزلقت شفتاه على عنقها. كانت مستعدة لكل شيء كي تتمكن من تقديم شفتيها لشفتيه. ولكن لم يكن من السهل نسيان ما يثقل قلبها وفكرها. فابتعدت من بين ذراعيه وهربت بسرعة الى غرفتها.

في صباح اليوم التالي، وبينما كان المدعوون يتناولون فطورهم في غرفة الطعام. كانت سارا تشرب قهوتها في غرفتها. وكان من ضمن البرنامج ستقام مباراة لاصطياد الحمام بعد ساعة. وحتى ذلك الوقت هي حرة ويمكنها قضاء بعض الوقت في المطبخ.

وكان الطاهيان سعيدين بهذه الرحلة. ويبذلان كل جهدهما في اظهار مواهبهما في فن الطهي. واستطاعت لوسيا فالادان زوجة الطاهي بثرثرتها المرحة ان تخفف من توتر الفتاة. وسألتها وهي تنظف الخضار:

«كيف وجد السيد سيرفارا العشاء، مساء أمس؟».

«كان مسروراً». اجابتها سارا مبتسمة.

«ألم يأكل من القريدس؟».

«بدا لي انه استطيب كل الأصناف».

«عظيم». اجابت لوسيا بحماس.

وامام دهشة سارا، رفعت الطاهية حاجبيها ثم همست

بصوت منخفض:

«اذا دعم مشروع المصفاة، ستتلقى جميعنا مكافأة كبيرة. لماذا تعتقدين اذاً ان الفريق كله متحمس؟».

فكرت سارا قليلاً بصمت. وكانت بالفعل قد لاحظت مدى تفاني الجميع في القيام بمهامهم.

«نحن جميعاً نمر بحالة قلق». أضافت لوسيا مبتسمة.

«ولكن ليس اكثر مني». فكرت سارا بحزن.

تقنيص الحمام كان على وشك البدء عندما تركت سارا المطبخ. وقبل ان تخرج، قالت لها لوسيا:

«مهما كان الامر، لا تعارضي السيد سيرفارا!».

«سأحاول!». وأحست سارا بتأنيب الضمير. يبدوان الجميع يحملون على كاهلهم هم نجاح البيراميدون، جميعهم باستثنائها.

كان المدعوون مجتمعين في الاعلى والنساء تنتظرن بفارغ الصبر ان تفتخرن بأزواجهن. وأخيراً وصل السيد سيرفارا برفقة برايس. وكانا يتناقشان بحماس. ورغم سنه، كان البورتغالي انيقاً جداً. وعندما بدأ التقنيص، بدأ بالضحك والمزاح امام اخطاء بعض المشتركين.

وكان يحق لكل مشترك بستة طلقات، ولكن على وجه التقريب لم ينجح احد حتى الآن سوى بإصابة ثلاثة أهداف. وكان السيد سيرفارا ينتظر بغاية الشوق ليظهر تفوقه على الآخرين، ورغم سنه، كان دقيقاً في تركيزه. وبكل سهولة، اصاب أول حمامة ثم الثانية. كان يبدو من المستحيل ايقافه. ثلاثة... أربعة... خمسة. وعندما

اصاب السادسة، علا التصفيق والتهاني.

جفف البورتغالي جبينه وهو يضحك. ثم نظر الى برايس وهو يستعد نظرة تحد. وكانت سارا تعرف ان العجوز صياد ماهر، لكنها حتى الآن لم تر مديرها يطلق الرصاص.

في الواقع، كان برايس يصوب وأطلق النار بدقة مدهشة. واحد... اثنان... ثلاثة... كان يصيب الهدف دون ان يبد ان هذا يكلفه اي عناء. أربعة... خمسة... وتوقف لحظة قبل ان يطلق رصاصته الأخيرة، ثم اطلقها وأخطأ الهدف. ولم يستحق سوى تهنئة المشاهدين الهامسة. وكان السيد سيرفارا هو الفائز.

«اوه! اوه! لا حظ لك اليوم، برايس». قال له بمرح.

ابتسم برايس مبدياً أسفه. لكن سارا كانت متأكدة انه كان بإمكانه ان يصيب الهدف السادس، لو أراد. لكنه ككل اعضاء الفريق والخدم، لم يكن يريد ان يغضب السيد سيرفارا.

بعد الظهر، وصل اليخت الى استوريل. وهي مدينة عريضة الشوارع، وأبنيتها كلها كبيرة وفخمة. فتناول الركاب عشاءهم في اليخت وقرروا ان يقضوا السهرة في كازينو المدينة المشهورة.

لهذه المناسبة، ارتدت سارا ثوباً من الحرير الأزرق، يعلوه الدانتيل، وغطت كتفيها بوشاح أبيض. ساعدها برايس في النزول الى المركب الذي نقلهم الى الرصيف على مرحلتين.

وكانت الفتاة على عكس الجميع، غير متحمسة لقضاء بضعة ساعات على اليابسة. كانت اعصابها متوترة بانتظار نتيجة المفاوضات بشأن المصفاة.

لكنها كانت تحاول الا تظهر قلقها. وعندما وصلوا الى الكازينو، امسك السيد سيرفارا ذراعها. وكان مستعجلاً ليريها المكان، فتظاهرت بالفضول والحماس لهذه الفكرة.

اتجهوا على الفور الى صالات الألعاب حيث كان الخدم ببدلاتهم الكحلية يقفون خلف الطاولات وسط ضجيج الأصوات وصوت الروليت.

- ٩ -

كان البورتغالي بالتأكيد مهماً في هذا الكازينو، فانحنى مدير الصالة امامه وتسارع خدمه لتلبية أوامره. بكل اعتزاز، وزع سلال الفيشات الصغيرة على مدعويه. ولم تكن سارا تعرف ماذا تفعل بفيشاتها. فهذه أول مرة تدخل فيها الى كازينو. كما وان المال لم يكن يهمها. لكن السيد سيرفارا الذي كان يجهل حالتها النفسية، أصر على تعليمها أصول اللعبة. ولكي ترضيه، حاولت الفتاة ان تنتبه لشروحه، وكانت تأمل ان تخسر بسرعة كل مالها كي تنتهي منه بسرعة، ولكنها لم تتوقف عن الربح، لدرجة انها لم تعرف كيف تتخلص من كل هذه الفيشات اللعينة!.

كان البورتغالي سعيد من حظها. فأحضر لها سلة اكبر. وساعدها في وضع ارباحها فيها امام نظرات برايس

المرحة. وعندما اكتفى من لعبة الروليت، رافق مدعويه بجولة على الصالات الأخرى وهو يشرح لسارا أصول كل لعبة. لكنها لم تكن تستمع اليه الا باذن ساهمة. وكل تفكيرها بعيد جداً. ومع ذلك حافظت على ابتسامتها حتى نهاية السهرة.

عاد اكثر المدعوين الى سيدة البيراميدون. بينما برايس ومساعدته وثنائي آخر دعوا لقضاء ليلتهم في منزل آل سيرفارا الرائع على شاطىء البحر.

نامت الفتاة الانكليزية في غرفة ذات ديكور رائع. وفي اليوم التالي احضروا لها الفطور على صينية من الفضة. أحست في هذه الغرفة الفخمة بقلق واضطراب. مع كل هذا الثراء، لماذا يصر السيد سيرفارا على الاحتفاظ ببضعة هكتارات من الأراضي في لاسو؟.

أصر السيد سيرفارا على ان يزور سارا القصر الوطني، وكان لها دليلاً طوال الوقت. سرت سارا عندما علمت انه نظم هذه الرحلة على شرفها، وحاولت ان تظهر اهتمامها امام كل ما يرونه.

لو كانت زوجة البورتغالي غيورة، لكانت غضبت من رؤيته يهتم بهذا الشكل بسارا. لكنها كانت متسامحة، وتكتفي بالابتسام امام تصرفات زوجها.

كان جواكن سيرفارا برفقة سارا يتقدمان الآخرين داخل القصر. وعندما دخلوا الى احدى الصالات، لفت نظرهم الى المنظر الجميل الممتد امامهم عبر النوافذ الواسعة. تأثرت سارا كثيراً بالسجاد والأثاث الرائع والديكور

المذهل. ومع ذلك ارتاحت كثيراً عندما انهوا زيارتهم هذه.

وعادوا الى السيارات سيراً على الأقدام، وأعجبت الفتاة بسحر هذه المدينة، ولم يتوقف العجوز البورتغالي عن التغني بجمال مناظر سترا. فشعرت الفتاة بخفة. فالسيد سيرفارا المتأثر جداً بسحر بلاده، لن يقبل ابداً برؤية مناظره تتغير معالمها بانشاء مصفاة بهذه الضخامة.

كانت شمس بعد الظهر تعكس أشعتها على المياه المتلألئة. والجو هادىء على متن سيدة البيراميدون. الكل ينتظر قرار السيد سيرفارا، وسارا ايضاً اكثر من الجميع.

ارتاح الضيوف في غرفتهم، وانطلق اليخت نحو لاسو. لم تستطع سارا البقاء اكثر في غرفتها فخرجت واستندت على الدرابزين. لم تكن ترغب برفقة احد. لكنها رأت القبطان ستوكتون يتجه نحوها. ولاحظت انه يبحث عمن يكلمه. انه رجل لطيف وقد سبق لها ان ثرثرت معه.

«كيف وجدت الرحلة، آنسة مارتندال؟».

«كانت رائعة، شكراً». اجابته محاولة ان تكون لطيفة.

«اذا سار كل شيء على ما يرام، سنكون في لاسو بعد ظهر الغد».

«ماذا ستفعل بعد ذلك؟». سألته الفتاة بفضول مفاجىء.

«سيحصل الطاقم على اجازة على اليابسة. ثم سنعود الى قاعدتنا في سوثمبتون».

«هل ستكون الرحلة صعبة؟».

«لا، اعتقد ذلك... باستثناء الخليج، تقريباً».

«الخليج؟». سألته وقد أثارها هذا الامر.

«خليج غاسكوني. وساحل فينيستر ايضاً. ولكن بعد برست لن يكون لدينا اية متاعب».

«اذاً ستعود قريباً الى موطنك». قالت له مبتسمة.

«اذا انطلقنا مساء غداً، سيصل بعد ثلاثة ايام».

وأخذ يكلمها عن الطرقات البحرية وممراتها المعقدة وهي تستمع اليه بشرود. وارتاحت كثيراً عندما ناداه احد اعضاء الطاقم.

بعد العشاء، غادر برايس غرفة الطعام برفقة جواكن سيرفارا، وبذلت سارا جهدها كي لا تشعر زوجة هذا الأخير بالملل. شربتا القهوة معاً وهما تثرثران مع بقية الضيوف. وعندما تأخر الوقت، رافقت البورتغالية الى الصالون الصغير حيث يوجد زوجها.

كان يجلس على كنبة يدخن سيجاره. بينما يشغل برايس المقعد المجاور. فجلست سارا والسيدة سيرفارا قبالتهما.

كان قلب الفتاة يدق بسرعة وهي تستمع للرجلين الذين لم يقطعا نقاشهما الذي بدآه أثناء العشاء. لا يزالان يتكلمان حول موضوع المصفاة.

كانت السيدة سيرفارا تنتظر بفارغ الصبر ان يقرر زوجها دخول غرفتهما للنوم. تظاهرت سارا بالهدوء وهي تستمع وتحبس انفاسها. سمعت برايس يقول محاولاً اقناع محدثه:

«هيا، يا صديقي العزيز. مشروع من هذا النوع ضروري وسيقدم عملاً لآلاف الأشخاص، وسيشجع المغتربين على العودة. بماذا سيضر هذا المشروع البورتغال؟ أهالي لاسو يرون ان مستوى المعيشة يزداد ضيقاً، فهذا يساعد على تحسين الوضع».

«ولكن مصفاة النفط هي شيء بشع». اعترض البورتغالي بعناد.

«كانت كذلك. ولكننا اليوم قادرين على القيام بالتدابير الضرورية للمحافظة على جمال المنطقة. وتصوراتنا بالنسبة للاسو سنجعل الموقع غير مرئي من كل الجهات، باستثناء البحر».

تنهد السيد سيرفارا وظل صامتاً للحظات ثم التفت نحو سارا وسألها بلطف:

«ما رأيك آنسة مارتندال؟».

«حسناً». قالت سارا مبتسمة. «في فاولي في انكلترا، توجد مصفاة كبيرة. وانا كنت اقيم بالقرب منها، ولم اكن الاحظ شيئاً. كنا بالكاد نرى المداخن وفي الليل فقط».

ثم سكتت للحظة وكانت تجهل لماذا تتكلم هكذا، ولكنها لم تكن تستطيع منع نفسها.

«ليمنغتون». أضافت الفتاة. «هو مرفأ صغير يشبه مرفأ لاسو. ولم يفقد شيئاً من جماله. بل على العكس. عرف تطوراً كبيراً بفضل المال الذي تدره الصناعة النفطية على المنطقة.

انهى التورتغالي سيجاره وأطفأه بهدوء في المرمدة. ثم

تبادل الرجلين بعض الكلمات قبل النهوض.

رافقت سارا السيدة سيرفارا حتى الدرج المؤدي الى الجناح الرئيسي. وتركت برايس والتورتغالي يتابعان نقاشهما. ثم عادت الى غرفتها مبتسمة. بالتأكيد، لعبت دور المساعدة بشكل ممتاز.

وصل اليخت الى لاسو بعد ظهر اليوم التالي. فغادر آل سيرفارا المركب أولاً. ورافقهما برايس حتى اليابسة، بينما اهتمت سارا بتوديع بقية الضيوف.

كانت الشمس قد غابت عندما عادت الى المنزل مع اعضاء الطاقم الذين دعيوا للاستراحة بضعة ساعات في الاسوداد.

ما ان وصلوا الى المنزل، حتى اسرعت الى غرفتها سعيدة بأن تكون وحيدة أخيراً. كانت منهكة، ومع ذلك افرغت حقائبها كي تتجنب التفكير خوفاً من ان تفقد هدوء اعصابها. ثم خرجت فيما بعد من غرفتها لتشرب شيئاً منعشاً.

كان بعض التقنين الذين يقيمون في الطابق السفلي حالياً يضحكون ويتمازحون. فتجاهلت مرحهم وضجيجهم واتجهت نحو المطبخ محاولة اخفاء اضطرابها وتوترها.

تفاجأت بلوسيا عندما رأتها تعد قالباً من الحلوى وقد أشرق وجهها ولمعت عيونها. فشربت كوباً من العصير البارد وقالت بهدوء:

«يبدو هذا القالب شهياً».

«انه على شرف الطاقم». اجابتها لوسيا ضاحكة.

«فالسيد تايلور امر بأن نعد الحلوى للاحتفال بالحدث».

«الحدث؟ اي حدث؟».

«ماذا؟ الا تعلمين؟ السيد سيرفارا باع أراضيه لشركة البيراميدون».

أحست الفتاة بدمها يتجمد في عروقها فاستندت على الطاولة كي لا يقع الكوب من يدها.

«في هذه الحالة». قالت بفرح كاذب. «الأفضل ان اتركك تنهين عملك!». وخرجت من المطبخ مرعوبة. لقد حصل ما كانت تخشاه! ربحت الشركة وهي آخر من علم بهذا الانتصار. تقدمت وهي تتعثر ولا تعرف الى اين تتجه. وفجأة مرت امام نافذة البهو، وتجمدت مكانها.

رأت سيارة سوداء تتوقف في ممر المنزل. انها سيارة تعرفها جيداً. ورأت على الفور السيد كارفالو ينزل وهو يحمل ملفاً بيده ويرافقه ابناءه والغضب يتطاير من عيونهم.

بالتأكيد لم يكونوا بحاجة لها ليعرفوا بالخبر. لا بد ان كل مدينة لاسو أصبحت على علم. يبدو عندما علموا جاؤوا على الفور الى الاسوداد.

ارتعشت وهي تسمع خطواتهم. يريدون رؤية المدير بالتأكيد. وهو لم يذهب بعد لأنه يعقد اجتماعاً مع التقنين.

انتظرت وقلبها يدق بسرعة الى ان أقفل باب المكتب وراءهم. ثم صعدت الى غرفتها وساقاها ترتجفان. يجب ان تهرب. لا يهم الى اي مكان... المهم ان تبتعد عن برايس. ابداً لن تجرؤ على مواجهته. لقد فقدت كل أمل باستعادة ثقته بها.

حاولت ان تتمالك نفسها وهي تدس احدي حقائب ملابسها القديمة وبعض الضروريات. وأخيراً أطفأت النور. ونزلت. كان كل المنزل غارقاً في الظلام. فقط غرفة المكتب مضاءة. وترتفع منها أصوات برايس والسيد كارفالو. بعد لحظات أصبحت الفتاة في الخارج.

بعد لحظة من التردد، اسرعت نحو الدرج المؤدي الى الشاطىء. ونزلت عندما اعتادت على الظلمة وقد خطرت فكرة في رأسها. وما ان وصلت الى الاسفل حتى اسرعت نحو شكل أبيض راسياً قرب رمال الشاطىء. انه مركب الطاقم الذين يتناولون العشاء في الاسوداد. وانتظرت. وجف حلقها وهي تفكر ببرايس وغضبه.

انهمرت دموعها وهي تفكر بهذه الشهور التي قضتها الى جانبه. كيف ستتمكن من العيش بدونه؟ مر الوقت ببطء، وسمعت فجأة أصواتاً وضحكات تقترب. انهم اعضاء الطاقم بالتأكيد. فاختبأت جيداً الى ان ركبوا وانطلقوا بالمركب. وبعد قليل، وصلوا اليخت وسمعت خطواتهم وهم يتسلقون السلم الى سيدة البيراميدون. الآن، سارا أصبحت وحدها من جديد في المركب. لكنها سمعت خطوات رجل ثبت المركب ودفعه الى الاعلى.

ارتفع صوت المحرك بعد ان رفعت المرساة. فحبست الفتاة انفاسها الى ان أصبح صوت المحركات منتظماً ثم خرجت من مخبئها في الظلام ووضعت قدمها على ظهر اليخت. وعندما وجدت توازنها اتجهت نحو الصالون الصغير. وما ان وصلته حتى التقت بأحد البحارة يدخل

وهو يصفر بمرح. فنظر اليها كأنه رأى شبحا، ثم تراجع ببطء واختفى.

فدخلت بهدوء، ولكنها سرعان ما سمعت خطوات جديدة وظهر القبطان امام الباب.

«آنسة مارتندال! يا للمفاجأة السارة!».

فنظرت الفتاة اليه بتوسل.

«يجب ان اعود الى انكلترا، فكرت انك لن تمانع باصطحابي معكم».

«لكن هذا ليس مسموحاً به...».

«اعلم، ولكنني لن اسبب لك اي ازعاج». قالت له بيأس. «سأكون ممتنة لك اذا لم تخبر احداً».

«ارتاحي ولا تقلقي». اجابها ببساطة وحياها واختفى.

بعد لحظات، احضر لها احد البحارة القهوة وانسحب. شربت قهوتها وكان الليل قد انتصف، ويجب ان تدخل الى غرفة تنام فيها ريثما تصل الى انكلترا. ولكن هل هذا ما ترغب به حقاً؟.

انهمرت دموعها وأحست بالحنين الى الاسوداد. وفجأة رأت من خلال النافذة المستديرة الزجاجية نوراً يقترب في الظلام. وبنفس الوقت لاحظت ان محركات سيدة البيراميدون خففت ثم توقفت فجأة.

كان الصمت الذي حل مرعباً. انتظرت سارا وقد شحب لونها. هذا المركب الذي يقترب يشبه تلك المراكب التي كانت تراها على شاطىء الاسوداد.

لم تكن سارا بحاجة للنظر كي تعرف من يصعد الى متن

اليخت. اتجهت خطوات نحوها. فتراجعت مرعوبة وأخذت تبحث عن مخرج. لشدة خوفها بدأت تركضّ. وفجأة، أضيئت كل الأنوار وكانت الفتاة قد وصلت الى مقدمة اليخت ولم يعد بإمكانها ان تتقدم اكثر.

استندت على الدرابزين كحيوان وقع في الفخ عندما ظهر برايس. لم يبق امامها سوى مياه المحيط الغارقة في الظلام في الاسفل... فالتفتت حولها كالمشلولة، وارتفع صوت برايس يرن في السكون:

«سارا! لا تتحركي!».

مع اقترابه نحوها، تبدلت ملامحه. وقال بلهجة غريبة تلمح فيها شيئاً من الحنان والرقة:

«تعالي الى هنا، ايتها الغبية. لقد بحثت عنك انا وكل الرجال».

«حقاً؟».

تركت الفتاة الدرابزين ونظرت اليه بدهشة. فرأته يمد ذراعيه نحوها ويضمها الى صدره بسرعة تحت نظرات القبطان وكل الطاقم. وقبلها طويلاً وبحنان.

عندما رفع رأسه أخيراً، حدقت سارا بوجهه بمزيد من الذهول، وأخيراً هو لا يكرهها. او، اذا كان الامر كذلك، هو لديه طريقة غريبة بالتعبير عن ذلك... فضحكت رغم حيرتها.

«ولكن... انا لا افهم...». قالت له متلعثمة. «ألم تلتق بالسيد كارفالو؟ ألم يريك الصك الخاص بالمرفأ؟».

«اتريدين الكلام عن ذلك؟».

وبابتسامة عريضة اخرج مغلفاً من جيبه.

«انه معك!». سألته بدهشة ثم أضافت بقلق: «ماذا سيفعل آل كارفالو الآن؟».

«سيتابعون تصدير خمورهم، كالعادة». اجابها وهو يعيد المغلف الى جيبه، وضمها اليه من جديد. والقى نظرة نحو العيون التي تحدق بهما، ثم ابتسم وجذب سارا الى الداخل بعيداً عن انظارهم.

كانت لا تزال تحت تأثير المفاجأة ولا تزال تحس بالذنب.

«كنت تعلم بأنني كانت اعمل مع آل كارفالو؟».

«ليس تماماً، لكن شكوكي بدأت عندما تقدمت لطلب العمل. خاصة وانني رأيتك في الفندق في اليوم الأول».

«انت رأيتني!».

«مررت بجانبك في اللحظة التي كنت تدفعين فيها الحساب».

«لم اكن اعلم!».

«من باب الحذر. كنت قد بدأت بالبحث عن مرفأ بديل في الفشل. واكتشفنا واحداً في شمال لاسو».

«لكن آل كارفالو يزعمون انه من المستحيل ايجاد مرفأ في المنطقة...».

ابتسم برايس وضمها مجدداً اليه، وداعب شعرها بحنان:

«ليس لديهم اية فكرة عن المبالغ الطائلة والمعدات الحديثة التى تضعها شركة البيراميدون في خدمة هذا

المشروع. المرفأ الجديد صغيراً بالنسبة لمصفاة نفطية، ولكن، بالنسبة للطريق هو اقرب لكرومهم. وستكون تكاليف نقلهم أقل نسبياً. ولا ضرورة لأن اقول لك بأنهم سعداء».

«لا يمكنني تصديق ذلك! انه يشبه الخيال. الشركة حصلت على مصفاتها، وآل كارفالو أصبح لديهم مرفأ جديد...».

«وانا ايضاً كسبت». همس بأذنها وامتلأت عيونه بالحب الذي كانت ترى بريقه خلال الأشهر الماضية. وبحثت شفاهه عن شفاهها. فقدمت له بكل شوق وحرارة.

«لطالما انتظرت هذه اللحظات». قال برايس بعد قليل.

«لكنك كنت بعيدة، وقاسية...».

«كان هذا هو رأيي بك ايضاً».

«ووحيدة ايضاً... في اجازتنا التي قضيناها في ليشبونة، كنت ارغب بأن أزورك المدينة، لكنك خرجت وحدك وتغيبت طوال النهار. طرقت عدة مرات على بابك فلم اجدك».

«ماذا؟». سألته بدهشة ولمعت عيونها من السعادة، لكنها أضافت بشيء من التردد. «والآنسة ماجي لافراي؟ كنت مأخوذاً بها على الأقل، هكذا كنت تبدو...».

«ماجي لافراي فقط صديقة قديمة». اكد لها مبتسماً. «رافقتها الى الكباري. وهناك التقيت بزملاء من الشركة رافقتهم الى فندقهم وتكلمنا بالاعمال طوال الليل». وداعب فم سارا وأضاف: «ماذا حصل لك، ذلك الاحد،

هناك».

«تهت في الشوارع حتى وصلت الى النهر».

«حي الا لفالما؟ لو علمت، لأسرعت لنجدتك».

«هذه الأشياء لا تحدث سوى في الروايات...».

«اوه، لست متأكداً من ذلك. على الأقل، استطعت انقاذك من بين براثن جاستتودورو!».

«جاستو!». وارتعشت من ذكراه. «ماذا حصل له؟».

«هذا الرجل لم يكن يوحي لي بالثقة. عندما زرنا الأقبية، لاحظت ان لوحات البراميل المعدنية مزيفة. فقمت بتحقيق صغير واكتشفت انه كان قد اشترى هذه البراميل بكميات كبيرة وألصق عليها ماركة شركته. ويضع على الفواتير سعراً يثبته بنفسه، كي يخدع شركائه البريطانين». ثم صمت قليلاً وأضاف من جديد.

«عندما أخبرني، في ذلك المساء، بأنك كنت تعملين مع آل كارفالو، قلت له بأنني اعلم بنشاطاته الاحتيالية. وهددته بأنني سأخبر شركائه اذا لم يغادر المنطقة. وسمعت مؤخراً انه رحل ليجمع ثروات اخرى في بلاد الاغتراب».

«بما انك كنت تعلم بأنني اتجسس عليك لحساب آل كارفالو، فلماذا لم تطردني؟».

«ادركت انني لا استطيع طردك...». اجابها مبتسماً. «كما وانك قدمت لي خدمة كبيرة بتأثيرك على جواكن سيرفارا. واعتقد انك انت من اقنعه بقراره». ثم طبع قبلة حارة على شفتيها المرتجفتين.

«انتبهي، فمن الآن وصاعداً، سأنصحه بأن يبق بعيداً

عن زوجتي!».

اسندت سارا رأسها على كتفه، وسألته بعد قليل وكأنها تحلم:

«ماذا سيحل بالاسوداد، الآن وقد انتهت الاعمال التحضيرية؟».

«اذا كنت ترغبين به، بإمكان هذا المنزل ان يكون لنا». ثم أضاف بابتسامة ماكرة. «هذا احدى المكافآت التي حصلت عليها لنجاحي في تأسيس المصفاة!».

«هل سيقدمون لك عملاً جديداً؟».

«المصفاة بحاجة لمدير. ولقد سبق ان قبلت بهذا المنصب».

امتلأ قلب الفتاة بالسعادة.

«لا يمكنني التصديق بأننا سنعيش حقاً في الاسوداد...».

«أولاً، سنمنح اجازة للخدم، ونقفل الأبواب بوجه الزوار». همس وهو يقبل عنقها.

«اوه، برايس، الن يكون هذا المنزل كبيراً جداً بالنسبة لنا؟».

«نحن لن نبق اثنين». اجابها بابتسامة عريضة».

أخفضت الفتاة عيونها وقد احمر وجهها من الخجل.

«كيف علمت بأنني على متن اليخت؟».

«اخبرني القبطان بواسطة الراديو بأن لديه راكب غير قانوني».

«اعتقد انه كان مضطراً». وتنهدت وشكرت السماء على

بادرة القبطان.

«اعرف مطعماً رائعاً في ليشبونة، حيث يمكننا ان نحجز طاولة لأثنين... كي تكون بداية لشهر عسلنا...».

«لن أذهب معك الا بشرط...».

«ما هو؟».

«ان تعدني هذه المرة، بأن لا تصم أذني بضجيج الراديو طوال الطريق».

فأخفض رأسه وابتسم.

«كنت تربكيني كثيراً من ذلك اليوم، سارا. كنت احاول ان اتمسك بعزوبيتي وأقاوم حبي لك».

«وماذا ستفعل لعزوبيتك، الآن؟» سألته بمكر.

«لنتزوج بأسرع وقت ممكن».

ثم امسك يدها وخرجا الى السطح، وعندما هما بالنزول الى المركب الذي جاء به برايس، اقترب القبطان منهما مودعاً فابتسمت له سارا ابتسامة مليئة بالشكر والامتنان.